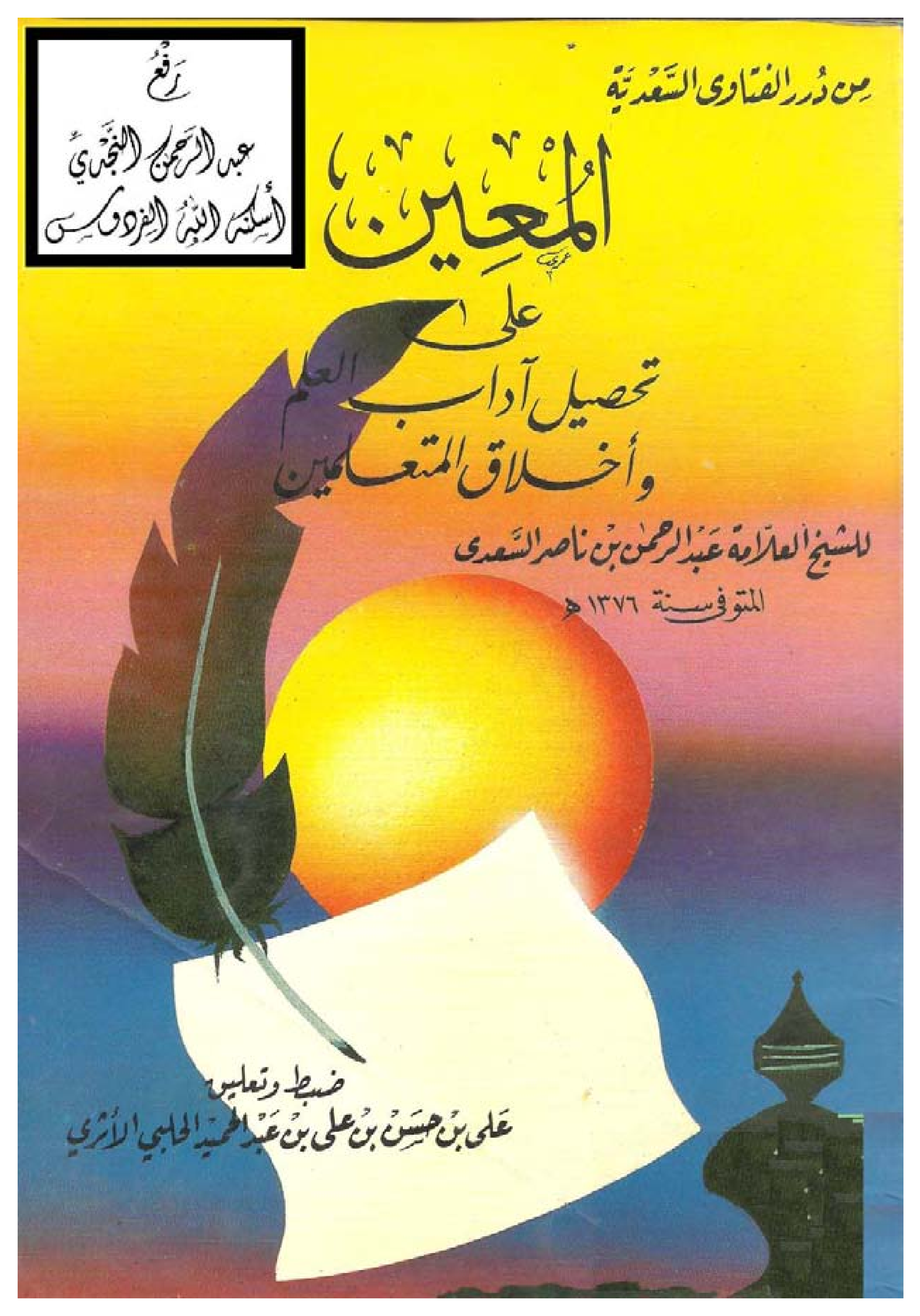
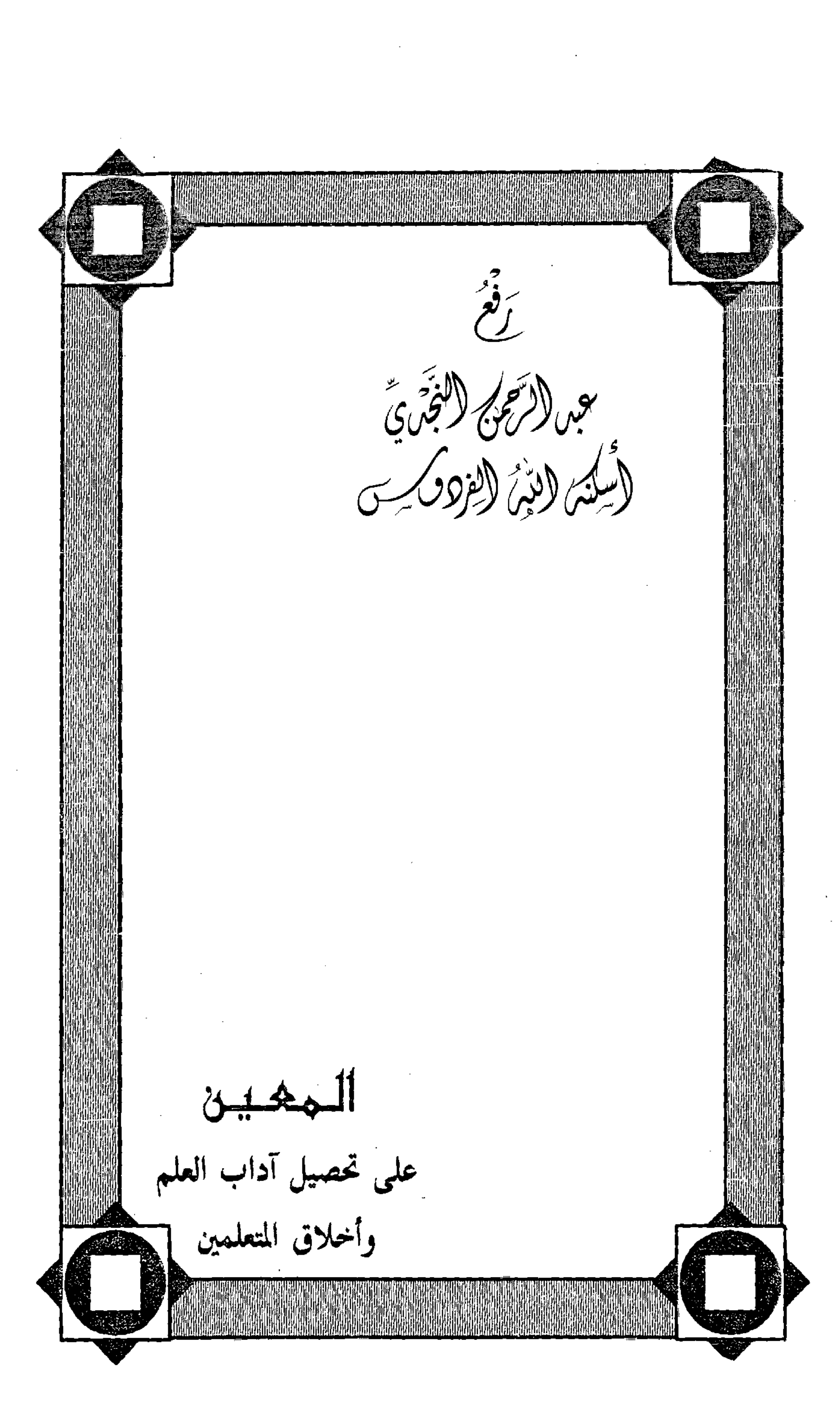
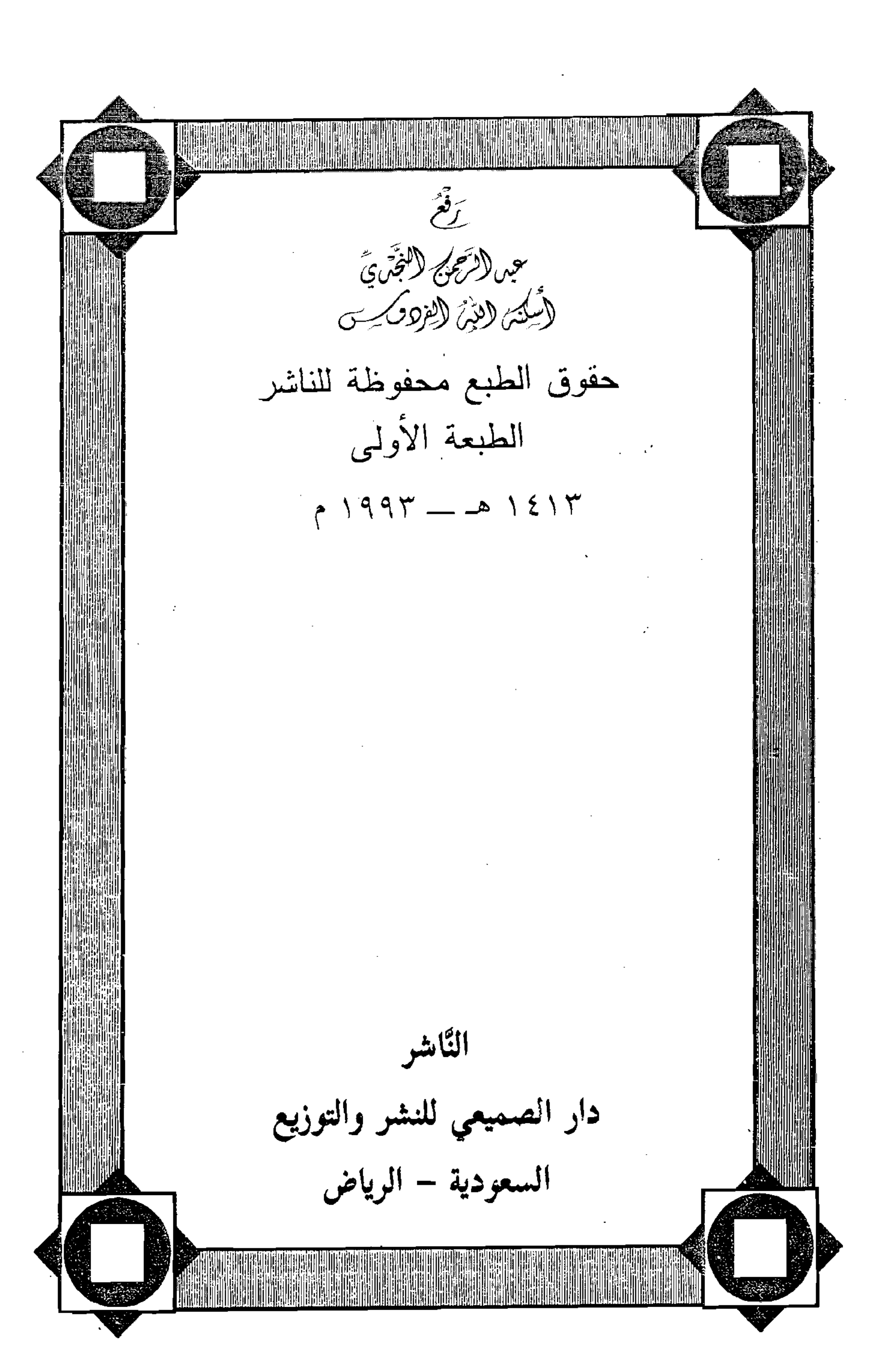

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
من درر الفتاوى السعدية
المعين
على
تحصيل آداب العلم
وأخلاق المتعلمين
للشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي
المتوفى سنة ١٣٧٦ هـ
ضبط وتعليق
علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
المعين
على تحصيل آداب العلم
وأخلاق المتعلمين



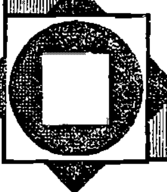
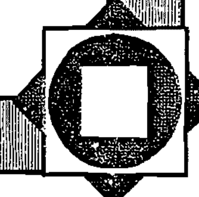
الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ ــ ١٩٩٣ م

النّاشر

دار الصميعي للنشر والتوزيع

السعودية - الرياض

من دُرَر « الفتاوى السَّعديَّة »:

المُعين

على

تَحصيلِ آدابِ العِلمِ وأخلاقِ المُتَعلِّمين

للشيخ العَلَّامة

عبدالرَّحمن بن نَاصر السَّعديّ

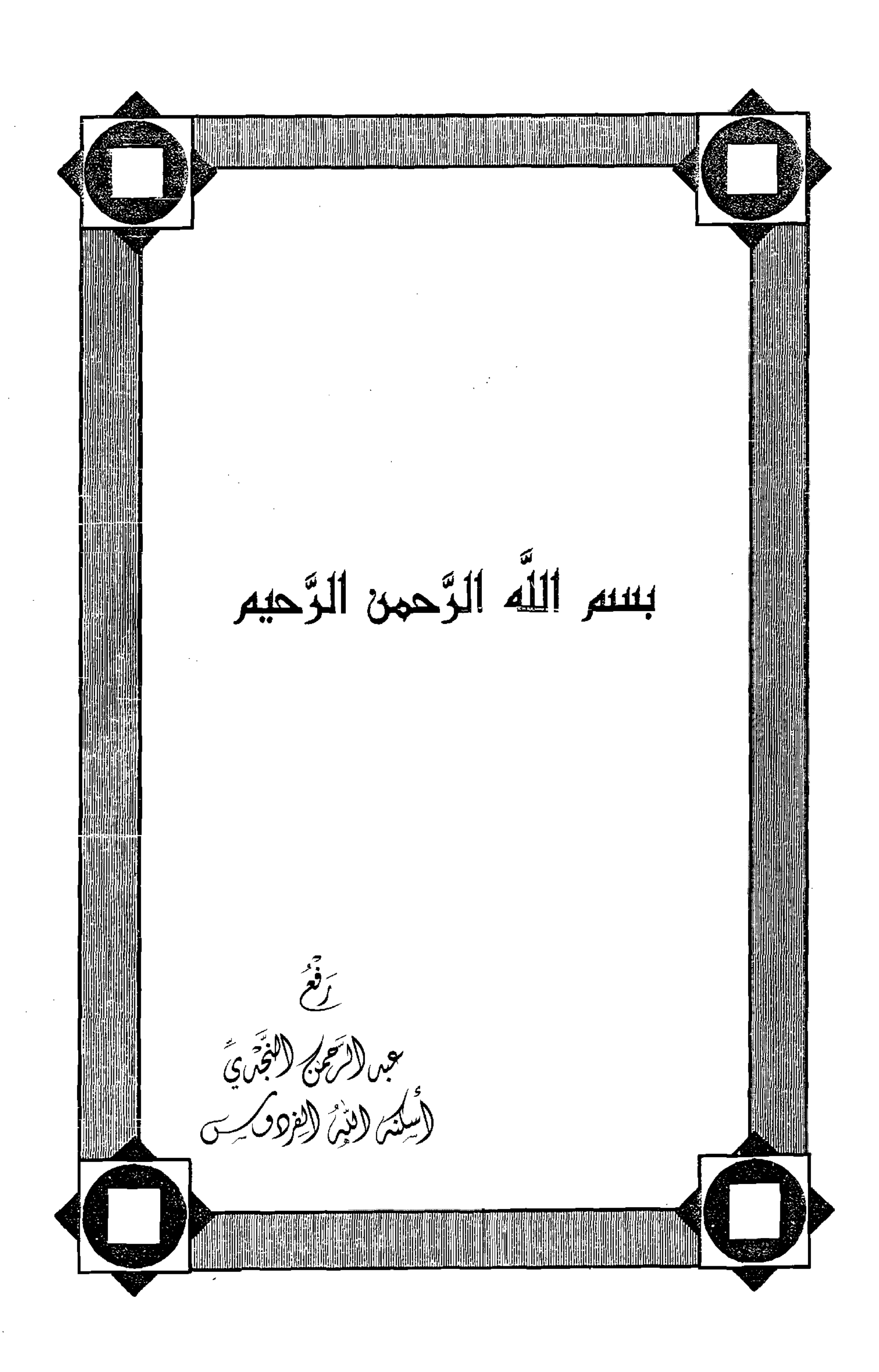
المتوفى سنة (١٣٧٦هـ) رحمه اللَّه

ضبطُ وتعليقُ

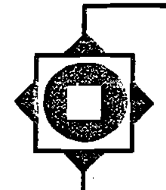
علي بن حسن بن علي بن عبدالحميد

الحلبيّ الأثريّ

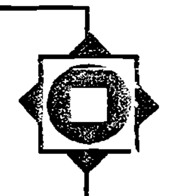
دار الصميعي للنَّشر والتَّوزيع



بسم الله الرَّحمن الرَّحيم
رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس



مقدِّمة التَّحقيق



الحمدُ للَّه، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ اللَّه، وعلى آله وصحبه ومَن والاه، أمَّا بعد :

فهذه كلماتٌ منثورةٌ من عَوالي العلم وغَواليه، نَثَلْتُها - ثمَّ نَظَمتُها - مِن كتابٍ لا تُظَنُّ أنَّها فيه؛ لبُعدِ عنوانه عمَّا حَوَتْهُ هذه الكلماتُ من فوائدَ ينتفعُ بها كُلُّ نَبيه .

فَقد جمعَ بعضُ أهلِ العلمِ أو طُلَّابِه كثيراً من الفتاوى المنثورة، والكلمات غير المشهورة؛ التي خَلَّفها العلَّامة المُحقِّق عبدالرَّحمن بن ناصر السَّعديّ(١) في كتابٍ كبيرٍ مستقلٍّ سمَّاه جامعُه « الفتاوى السَّعديَّة » طُبع قبلَ نحوِ رُبْعِ قرنٍ في أكثر مِن ستِّ مئةِ صفحةً .

(١) وقد أفرده بالتَّرجمةِ والتَّعريفِ أخونا الشَّيخ عبدالرزَّاق ابن شيخنا عبدالمحسن العبَّاد في كتابٍ مستقلٍّ، فجزاه اللَّه خيراً .

وقد كُنتُ طالعتُ هذا الكتابَ قديماً؛ فوقفت فيه على فوائدَ غاليةٍ، لا يعلمُها كثيرٌ من النَّاسِ؛ لأنَّها دُرَّةٌ عزيزةٌ في بَحرٍ من المعارِفِ! فأحببتُ أن أستخرجَ ما يتعلَّقُ بالعلمِ منها، وأُرَتِّبَها ترتيباً حَسَناً، يُسَهِّلُ على طُلَّابِ العلمِ معرفتَها، ويُعينُهم على تناوُلها، فلمَّا تَمَّ لي ذلك؛ وقعَ في قلبي أن أُسَمِّي هذا المجموعَ العلميَّ الثَّمين بـ « **المُعين على تحصيل آداب العلمِ وأخلاق المتعلِّمين** »، فعسى أن يكونَ المضمونُ موافقاً للعنوانِ، وشاهداً عليهِ، وهادياً إليهِ.

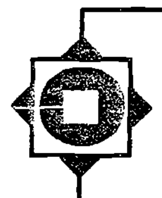
وممَّا زيَّن هذا الكتابَ ما ألحقتُه به من تلكَ القصائدِ الجميلةِ المُتعلِّقةِ بالعلمِ والعُلماءِ، مِمَّا نَظَمَهُ المصنِّف رحمه اللَّه تعالى، فكانت نوراً على نورٍ - بحمدِ اللَّه -.

فاللَّهَ أسألُ أن يرحمَ المصنِّف على ما قدَّمه مِن علمٍ وعَمَلٍ ودَعوةٍ وجهادٍ، وأن يغفرَ لنا ولهُ، وأن يُلحقَنا به على خيرٍ، إنَّه سميعٌ مُجيبٌ[1].

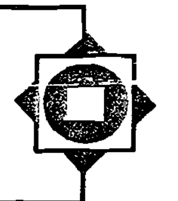
---

(١) كتب ذلكم: علي بن حسن.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس



مقدمة المصنِّف



[إنَّ الحمدَ للَّهِ نحمدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ باللَّه من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له .

وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللَّهُ وحدَهُ لا شريكَ له .

وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ .

أمَّا بعد :]

فإنَّ أهلَ السنَّةِ والجماعةِ يعتقدونَ وَيعلمونَ أنَّه لا طريقَ إلى اللَّهِ وإلى كرامتِه إلَّا بالعلمِ النَّافعِ، والعمَلِ الصَّالحِ .

والعملُ الصَّالح : هو ما جاءَ بِهِ الرّسولُ منَ الكِتَابِ والسنَّةِ؛ فيجتهدونَ في معرفة معانيها، والتَّفقُّهِ فيها؛ أصولاً

وفروعاً، ويسلكونَ جميعَ الطُّرقِ المُعِينَةِ على ذلك[1]؛ دلالَةَ المُطابقَةِ[2]، ودلالَةَ التَّضمُّنِ[3]، ودلالَةَ الالتزامِ[4]، ويبذلونَ قواهُم في إدراكِ ذلكَ بحسبِ ما آتاهُم اللَّهُ، ويعتقدونَ أنَّ هذهِ هيَ العلومُ النَّافعةُ، هي وما تَفرَّع عنها من أقيسةٍ صحيحةٍ، ومُناسباتٍ حُكميَّةٍ .

وكلُّ علمٍ أعانَ على ذلكَ وآزرَهُ، فهوَ علمٌ شرعيٌّ، كما أنَّ كلَّ علمٍ ضادَّه أو ناقضَه، فهو باطلٌ .

فهذا طريقُهم في العلمِ .

وأمَّا طريقهُم في العملِ؛ فإنَّهم يَتقرَّبونَ إلى اللَّهِ تعالى بالتَّصديقِ، والاعترافِ التَّامِّ، والإيمانِ الَّذي لا ريبَ فيهِ

---

(١) أي على فهمِه بوجوهِ الدَّلالاتِ .

(٢) هي دلالةُ الشَّيء على كلِّ معناه .

(٣) هي دلالةُ الشيء على بعض معناه .

(٤) هي دلالةُ الشيء على ما يلزم مِن جهةِ الخارج .
وانظر تعليقي على رسالة المؤلف « التَّنبيهات اللَّطيفة » (ص : ٢١) نشر دار ابن القيم - الدمام .

بعقائدِ الدِّينِ التي هيَ أصلُ العباداتِ وأساسُها .

ثمَّ يتقرَّبونَ إليهِ بعدَ ذلكَ بأداءِ فرائضِه المتعلِّقةِ بحقِّ اللَّهِ وحقوقِ خلقِهِ، معَ الإكثارِ من النَّوافِلِ، والسَّعيِ بالإحسانِ إلى الخلقِ بكلِّ طريقٍ، وبتركِ المُحرَّماتِ والمنهيَّاتِ تعبُّداً للَّهِ تعالى، **وَيَعلمونَ أنَّ اللَّهَ لا يَقبَلُ إلَّا كلَّ عملٍ خالصٍ لوجههِ الكريمِ مَسْلُوكٍ فيه طريقُ النَّبيِّ الكريمِ** .

ويَستعينونَ باللَّهِ إلى كلِّ خيرٍ وفلاحٍ وسعادةٍ عاجلةٍ وآجلةٍ .

فهذِهِ الأصولُ العظيمةُ هيَ أصلُ الأصولِ، احتوى عليها هذا الجوابُ على وجهِ الإيجازِ، والإتيانِ بالنُّكتِ الحِسَانِ منها، ولو فُصِّلتْ وبُسِطَتْ وذُكِرَتْ أدلَّتُها لاحتاجت إلى شرحٍ كثيرٍ[1]، وكتابٍ كبيرٍ، واللَّهُ أعلمُ .

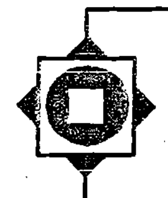
---

(١) وهذا المنهجُ العلميُّ الفريدُ المُتَميِّزُ بالإيجازِ والاختصارِ معَ جَودَةِ التَّرتيبِ وإتقانِ التَّهذيبِ مِمَّا تَميَّزَ بِهِ المصنِّف رحمه =

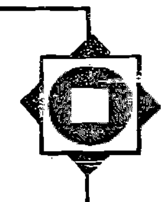
= اللَّه تعالى، وجَعَلَهُ يَفوقُ كثيراً من علماءِ عصرِه ونُبهاءِ زمانِه .

لذا؛ فإنَّكَ ترى - أخي طالبَ العلمِ - أنَّ كُتُبَ مُصنِّفنا وفتاويَهُ مِمَّا يُقبِلُ عليها ويَحرِصُ على مُطالعَتها والنَّهَلِ منها أهلُ العلمِ، وطُلَّابهُ، فضلاً عن العامَّةِ والمُبتدئينَ .

وذلكَ الفضلُ منَ اللَّهِ يؤتيهِ مَن يشاء .



في طرق العلم وأقواها



ما هيَ الطُّرقُ التي تُدرَكُ بِها العلومُ ؟

وما أقواها وأصحُّها ؟

الجوابُ وباللَّهِ التَّوفيقِ :

هذا سؤالٌ عظيمٌ جدًّاً يستدعي الإجابَةَ عن جميع الطُّرقِ التي يُتَوَصَّلُ بها إلى أنواعِ العلومِ، وإلى بيانِ درجاتِها ومراتبها في القوَّة والضَّعفِ، والوضوحِ وضدِّه .

اِعلم أنَّ الطُّرقَ والمسالكَ التي يُتَوَصَّلُ بها إلى العلومِ كثيرةُ الأجناسِ والأنواعِ والأفرادِ، لكنْ يجمعُ مُتفرِّقاتِها، ويلُمُّ أشتاتَها ثلاثُ طُرُق :

إحداها : طريقُ الإخباراتِ الصَّادقَةِ[1].

---

(١) وذلك عن طريق الكتاب والسنَّة .   =

والثَّاني : الحِسُّ .

والثَّالث : طريقُ العقلِ .

ووجهُ الحصرِ في ذلكَ[1] أنَّ المعلوماتِ **إمَّا** أن تُدْرَكَ بالسَّمعِ أو بالبَصرِ أو اللَّمسِ أو الذَّوقِ، **وإمَّا** أن تُدركَ بالعقلِ، **وإمَّا** أن تُنالَ بالإخبارِ :

وكلُّ واحدٍ من هذهِ الثَّلاثةِ قد يجتمعُ مع الآخرينَ، أو مع أحدِهما، وقد يكون ضروريًّاً يضطرُّ الإنسانُ إلى عملِهِ، والتَّصديقِ به، وقد يكونُ نظريًّاً يحتاجُ إلى زيادةِ فكرٍ وتأمُّلٍ وتفكُّرٍ .

ثمَّ هذهِ الأجناسُ قد تُوصِلُ إلى العلمِ الرَّاسِخِ اليقينيِّ، وقد تُوصلُ إلى التَّرجيحِ فقط، وبينَ المرتبتينِ درجاتٌ مُتفاوتةٌ :

= وهما الأمرُ الأوَّل، واللَّذان عليهما المُعول، وسيشرحُ ذلكَ المصنِّفُ رحمه الله - بَعدُ - مُطوَّلاً .

(١) أي في هذه الطُّرُق .

أمَّا أقواها فما اتَّفقت عليه الطُّرقُ الثَّلاثةُ، واتَّفقَ على اتِّفاقها عليه أهلُ العلمِ المُعْتَبَرُونَ، وأولو الألبابِ العارفونَ .

ومَن نَفى واحداً من هذهِ الأمورِ الثَّلاثةِ أو نفى بعضَه، فذلكَ لفسادِ تصوُّرِهِ، أو لقصورِ علمه، وانحرافِه وسوءِ قصدِه .

وكلَّما كانَ المُخبِرونَ أعظمَ صدقاً وأعلى معرفةً، والعارِفُ أجلَّ وأعظمَ وأنفعَ، كانَ العلمُ الحاصلُ بذلك أقوى من غيره؛ ولهذا كان أعلى دَرجاتِ العلمِ وأصَحُّها وأنفعُها وأكثرُها أدلَّةً وبراهينَ وأجلاها للحقائق **خبرَ اللَّهِ ورسلِه**، فإنَّه ليس أصدقَ منَ اللَّهِ قيلاً، ولا أصدقَ منهُ حديثاً ﴿ واللَّهُ يقولُ الحقَّ وهو يهدي السَّبيلَ ﴾[1] .

فكلُّ ما قال اللَّهُ ورسولُه فهو الحقُّ، وماذا بعدَ الحقِّ إلَّا الضَّلالُ، وهو يهدي إلى كلِّ دليلٍ على الحقِّ نَقْليٍّ أو عقليٍّ .

---

(١) الأحزاب : ٤ .

وإذا أردتَ أن تعرفَ الحقَّ الصَّحيحَ، فهو ما قاله اللَّهُ أو قاله رسولُه، وأنَّ ما ناقضَهُ ونافاهُ، فهوَ باطلٌ مُضْمَحِلٌّ، مبنيٌّ على جهالاتٍ وموادَّ فاسدةٍ، ومقدماتٍ ناقصةٍ[١] :

فانظر إلى أصولِ الدِّينِ وقواعِدِه وأُسسِهِ كيفَ اتَّفقَتْ عليها الأدلَّةُ العقليَّةُ والحِسِّيَّةُ .

انظر إلى توحيدِ اللَّهِ وتفَرُّدِهِ بالوحدانيَّةِ، وتوحُّدِه بصفاتِ الكمالِ، كيفَ كانت الكتبُ السَّماويَّةُ مشحونةً بها - بل هيَ المقصدُ الأعظمُ - وخصوصاً القرآنُ الذي هو مِنْ أوَّلِه إلى آخرِه يُقرِّرُ هذا الأصلَ الذي هو أكبرُ الأصولِ، وأعظمُها .

---

(١) وبخاصَّة ما يُسَمِّيه أذنابه اليومَ بـ (العقل) ! و (الحُجَج العقليَّة)!، وبعضهم (يزيدها) فيقول : (القواطع العقليَّة) !!!

وكلُّ هذا - كما قال المصنِّف رحمه اللَّه - : « مبنيٌّ على جهالات وموادّ فاسدة، ومقدِّمات ناقصة »؛ فاحذرهم واحذر تلبيساتهم ! وفي كتابي الجديد « العقلانيون : أفراخ المعتزلة العصريون » بيانٌ متينٌ قويٌّ في نقض أقاويلِهم وأفكارهم .

وانظر كيفَ اتَّفقت جميعُ الرُّسلِ والأنبياءِ - وخصوصاً خاتمهم وإمامهم محمَّداً ﷺ - على تقريرِ توحيدِ اللَّهِ، وأنَّه مُتفرِّدٌ بالوحدانيَّةِ وعظمةِ الصِّفاتِ؛ من سعةِ العلمِ، وشُمولِ القُدرةِ والإرادةِ، وعُمومِ الحُجَّةِ، والحكمةِ، والمُلكِ، والمجدِ، والسُّلطانِ، والجلالِ والجمالِ، والحُسنِ والإحسانِ في أسمائِهِ وصفاتِه وأفعالِه .

ثمَّ **انظر** إلى هذا الأُصلِ العظيمِ في قلوبِ ساداتِ الخَلْقِ، وأولي الألبابِ الكاملةِ، والعقولِ التَّامَّةِ كيفَ تجدُه أعظمَ من كلِّ شيءٍ، وأكبرَ من كلِّ شيءٍ، وأوضحَ من كلِّ شيءٍ، وأنَّهُ مُقدَّمٌ على الحقائقِ كلِّها، وأنَّهُم يعلمونَهُ علماً ضروريّاً بديهيّاً قبلَ الأدلَّةِ النَّظريَّةِ، **ويعلمونَ أنَّ كلَّ ما عارضهُ، فهو أبطلُ الباطلِ .**

ثمَّ **انظر** إلى كثرةِ البراهينِ المنقولةِ والمعقولةِ - بل والمحسوسةِ - الشَّاهدةِ للَّهِ بالوحدانيَّةِ .

ففي كلِّ شيءٍ له آيةٌ

تَدُلُّ على أنَّهُ واحدُ

فوجودُ الأشياءِ في العالمِ العُلويِّ والسُّفليِّ وبقاؤها، وما هيَ عليه منَ الأوصاف المتنوّعة؛ كلُّ ذلكَ مِن الأدلَّةِ والبراهينِ على وجودِ مُبدعِها ومُعدِّها بكلِّ ما تحتاجُ إليهِ .

ومَن أنكرَ هذا، فقد باهتَ وكابَرَ وأنكرَ أجلى الأمورِ، وأعظمَ الحقائقِ .

ومِن ها هنا نعرفُ أنَّ المادِّيِّينَ المُلحدينَ من أضلِّ الخلقِ وأجهلِهم، وأعظمِهم غُروراً، حيثُ اغترُّوا لمَّا عرفوا بعضَ العلومِ الطَّبيعيَّةِ، ووقفتْ **عقولُهم القاصرةُ** عندها، وقالوا : نُثبِتُ ما وصلت معارِفُنا إليهِ، ونَنفي ما سواهُ !! فتعرفُ بهذا أنَّ نَفْيَهم جهلٌ وباطلٌ باتِّفاقِ العقلاءِ؛ فإنَّ من نَفى ما لا يعرفهُ، فقد برهنَ على كذبِهِ وافترائِه، فكما أنَّ **من أثبتَ شيئاً بلا علمٍ، فهو ضالٌّ غاوٍ**، فكذلك من نفى شيئاً بغير علمٍ .

وتعرفُ أيضاً أنَّ إثباتَهم لعلومِ الطَّبيعةِ التي عرفوها ووصلت إليها مَعَارِفُهم : إثباتٌ قاصرٌ لم يصلوا إلى غايتِهِ، وحقيقتِه، فلم يصلوا بذلك إلى خالق الطَّبيعةِ ومُبدِعها، ولم يعرفوا المقصودَ من نظامِها وسببيَّتها، فأثبتوا بعض السَّببِ، وعَمُوا عن المقصودِ .

وهم في علمِهم ذا حائرونَ مُتردِّدونَ، لا تثبُتُ لهم قَدَمٌ على أمرٍ من الأمورِ، ولا تَثبُتُ لهم نظريَّةٌ صحيحةٌ مستقيمةٌ، فهم دائماً في خَبْطٍ وخَلْطٍ وتناقضٍ، وكلَّما جاءهم من البراهين ما لا قِبَلَ لهم به قالوا : هذا من فَلَتاتِ الطَّبيعةِ ! وكلَّما برزَ أحدٌ من فحولِهم وأذكيائهم، ابتكرَ لهم طريقةً غير طريقةِ إخوانِه[1]! فصدَقَ عليهم قولُه تعالى : ﴿ بل كَذَّبوا بالحقِّ لمَّا جاءهُم فهم في أمرٍ مريجٍ ﴾ [ق : ٥] .

---

(١) وهكذا الطَّوائف (الإسلاميَّة) المُنحرفة، ترى أنَّ كلَّ واحدٍ من بعض كُبرائِها له فِكرٌ يُخالفُ فِكرَ سابِقه، ويَستقلُّ بِهِ عمَّن قَبلَه، مع أنَّهم (جميعاً) أبناء مدرسةٍ (فكريَّةٍ) واحدةٍ ... زعموا !!

وهكذا؛ فالباطل لا يَلدُ إلَّا باطلاً !!

وصدقَ عليهم أيضاً قولُه تعالى : ﴿ فلمَّا جاءتهم رُسُلُهم بالبيِّناتِ فَرِحوا بما عندهم من العلمِ وحاقَ بِهم ما كانوا به يستهزؤون ﴾ [غافر : ٨٣] .

والمقصودُ : أنَّ هذا الأصلَ العظيمَ قد دلَّت عليهِ جميعُ الأدلَّةِ بأجناسِها وأنواعِها، ودلَّ عليهِ الشَّرعُ المُحْكَمُ، والقَدَرُ المُعَظَّمُ المُتْقَنُ .

وانظر إلى الأصل الثَّاني - وهو إثباتُ الرِّسالَةِ، وأنَّ اللَّهَ قَد أقامَ علَ صدقِ رسُلِه من الآياتِ والبيِّناتِ، والأدلَّة الواضحاتِ ما على مثلهِ يُؤمنُ البشرُ[١]، وخصوصاً إمامَهم وسيِّدَهم محمَّداً ﷺ - فإنَّ آياتِ نبوَّتِه، وبراهينَ رسالتِه مُتنوِّعةٌ؛ سيرتُه، وأخلاقُه، وهديُه، وما جاءَ بهِ منَ الدِّينِ القويمِ، وحثُّهُ على كلِّ خُلُقٍ جميلٍ، وعملٍ صالحٍ، ونفعٍ وإحسانٍ إلى الخَلقِ، ونهيُه عن ضدِّ ذلكَ؛ كلُّها آياتٌ وبراهينُ على رسالتِه، وما جاء به منَ الوحيِ منَ الكتابِ

---

(١) العُقلاء منهم، وأمَّا الذين ﴿ لا يعقلون ﴾ فلا يؤمنون !

والسنَّةِ، كلُّهُ - جملةً وتَفصيلاً - أدلَّةٌ وبراهينُ على رسالتِه، مع ما أكرمَهُ اللَّهُ به منَ النَّصرِ العظيمِ، وإظهارِ دينِهِ على الأديانِ كلِّها، وإجابةِ الدَّعواتِ، وحلولِ أنواعِ البَركاتِ التي لا تُعَدُّ أنواعُها، فضلاً عن أفرادِها، هذا بقطعِ النَّظرِ عن شهادَةِ الكُتُبِ السَّابقةِ له[1]، وعن مُعارضةِ المكذِّبينَ له، وتحدِّيهِ إيَّاهُم بكلِّ طريقٍ، حتى عَجزوا غايَةَ العجزِ عن نصرِ باطِلِهم .

ولا يزالُ الباطلُ بينَ يدي ما جاء به الرَّسولُ مخذولاً، بحيث إنَّ القائمينَ بما جاء بِهِ الرَّسولُ، والقائمينَ بمعرفةِ دينِه، يَتَحدَّونَ جميعَ أهلِ الأرضِ أن يأتوا بصلاحٍ أو فلاحٍ أو رِقيٍّ حقيقيٍّ أو سعادةٍ حقيقيَّةٍ بجميعِ وجوهِها .

---

(١) انظر رسالة « ماذا تقول التَّوراة والإنجيل عن محمَّد ﷺ ؟ » للدَّاعي إلى اللَّه أحمد ديدات، ترجمة الأخ وليد طاش، ومراجعتي وتعليقي، طبع دار ابن الجوزي - الدمام .

فَيُتَبَيَّنُ أَنَّهُ مُحالٌ أن يُتوصَّلَ إلى شيءٍ من ذلك بغيرِ ما جاءَ به الرَّسولُ وأرشدَ إليهِ، ودلَّ الخَلْقَ عليهِ، ولولا الجهلُ بما جاء به الرَّسولُ، والتَّعصُّباتُ الشَّديدةُ، وإقامةُ الحواجز المتعدِّدة والمقاماتِ العنيفةِ لِمَنْعِ الجماهيرِ[1] والدَّهماءِ من رؤيةِ الحقِّ الصَّريحِ والدِّينِ الصَّحيحِ، لم يبقَ دينٌ على وجهِ الأرضِ سوى دينِ محمَّد ﷺ؛ لدعوته وإرشادِه إلى كلِّ صلاحٍ وإصلاحٍ، وخيرٍ ورُشدٍ وسعادةٍ، ولكنّ مُقاوَماتِ الأعداءِ، ونصرَ القُوَّةِ للباطلِ بالتَّمويهاتِ والتَّزويراتِ، وتقاعُدَ أهلِ الدِّينِ الحقّ عن نُصرَتِه، هي الأسبابُ الوحيدةُ التي منعَت أكثرَ الخلقِ من الوقوفِ على حقيقتِه .

ثمَّ **انظر** إلى الأصلِ الثَّالث - وَهوَ إثباتُ المعادِ والجزاءِ - كيفَ اتَّفقَت الكتُبُ السَّماويَّةُ، والرُّسلُ العِظامُ

---

(١) ولا زال الكُبَراءُ الضالُّون (منهم) بمكرهم يُخَطِّطونَ، وبألاعيبهم يكيدون، لكنْ ﴿ إنَّ ربَّكَ لبالمرصاد ﴾ .

وأتباعُهم على اختلافِ طبقاتِهم، وتبايُنِ أقطارِهِم وأزمانِهِم وأحوالِهم على الإيمان به، والاعترافِ التَّامِّ به :

وكم أقامَ اللَّهُ عليهِ من الأدلَّةِ الحِسِّيَّةِ المُشَاهَدَةِ ما يدلُّ أكبرَ الدَّلالةِ عليه !

وكم أشهدَ عبادَه في هذهِ الدَّارِ نماذجَ منَ الثَّوابِ والعِقابِ، وأراهُم حلولَ المَثُلاتِ[1] بالمكَذِّبينَ، وأنواعَ العُقوباتِ الدُّنيويَّةِ بالمجرمينَ، كما أراهم نجاةَ الرُّسلِ وأتباعِهم المؤمنينَ، وإكرامَهُم في الدُّنيا قبلَ الآخرةِ !

وكم أبطلَ اللَّهُ كلَّ شبهةٍ يُقْدَحُ بها في المعادِ، كما أقامَ الأدلَّةَ على إبطالِ الشُّبَهِ الموجَّهةِ إلى توحيدِه، وصِدقِ رُسلِه، وبيانِ فسادِ عُقُولِهم وسَفَهِهم[2]، وأنَّهُ

---

(١) وهيَ العُقوبات، كما ذكر ربُّنا سبحانه وتعالى في سورة [الرَّعد : ١٣] .

وانظر « مشكل غريب القرآن » (ص ٢٠) لمكِّي بن أبي طالب، و « تحفة الأريب » (ص ٢٨٤) لأبي حيَّان .

(٢) أي أولئك المُبطلينَ أصحاب الشُّبهات المُضِلَّة .

ليس لهم من المُستندات على إنكارِ ذلك إلَّا استبعاداتٌ مجرَّدةٌ، وقياسُ قُدرةِ رَبِّ العالمينَ على قَدْرِ المخلوقينَ !

والمقصودُ : أنَّ هذهِ الأصولَ العظيمةَ قَد قامَتِ البراهينُ والقواطِعُ عليها من كُلِّ وجهٍ وبكلِّ اعتبارٍ، وأنَّ جميعَ الحقائقِ الثَّابتةِ المعلومَةِ لم يقُم على ثبوتِها وعلمِها عُشْرُ مِعْشار ما قامَ على هذهِ الأصولِ منَ البراهينِ المتنوِّعةِ، فيدلُّ ذلكَ [على] أنَّ كُلَّ من أثبتَ معلوماً أو حقيقة منَ الحقائقِ بطريقٍ عقليٍّ أو خبريٍّ أو حِسِّيٍّ، ثمَّ نفى مع ذلكَ واحداً من هذهِ الأُصولِ الثَّلاثةِ التي هيَ أساسُ الدِّينِ، فقد كابَرَ عقلَه وحِسَّه وعلمَه، ونادى على نفسِه بالتَّناقُض العظيم؛ لأنَّ الطُّرُقَ التي دَلَّتْهُ على إثباتِ معلوماتِه - هيَ وأضعافُها وأضعافُ أضعافِها وما هو أقوى منها وأوضحُ - قد دلَّت على التَّوحيدِ والرِّسالةِ والمعادِ .

واعلم أنَّ المعلوماتِ بخبرِ اللَّهِ، وخبرِ رُسلِه عامَّةً يدخُلُ فيها الإخبارُ عن اللَّه، وعن ملائكته، وعن الغُيوبِ كلِّها، وعن الشَّهادَةِ، وعن أمرِ الشَّرعِ، وأمورِ القَدرِ، وهيَ الأخبارُ المعصومَةُ الصَّادقةُ التي يُعلَمُ كذبُ مَن خالفها وبطلانُه، وبعدَ هذا إخبارُ الصَّادقينَ عن الحوادث والوقائع التي شاهدوها، والأماكن والأعيانِ التي رأوها، وهذا النَّوعُ بحسبِ صِدقِ المخبرينَ وَتَوَاتُرِ خَبَرِهِم يحصلُ العلمُ القَطعيُّ بذلك .

وكذلك إخبارُ الصَّادقينَ عن العلومِ التي سمعوها، والألفاظ التي نَقَلوها، **وأصدقُ النَّاقلينَ هنا حَمَلةُ الشَّريعةِ**[1]؛ لكمالِ صدقِهم، وشدَّةِ عنايتهم، وقُوَّةِ دينِهم، وأنَّهم محفوظونَ عن الاتِّفاقِ على غير الصَّوابِ .

(١) فَلْيَخسأ كُلُّ مُبْطِلٍ يتنقَّصُهم، أو يُقلِّلُ مِن قَدرِهم، فضلاً عن أن يتَّهِمَهم، أو يطعَنَ بأخبَارِهم .

ومنَ الأُمورِ التي تُعلَمُ بالعقلِ : أنَّ العُقولَ الصَّحيحةَ[1] - **التي لم تُغيَّر فطرتُها، ولم تَفْسُد بالعقائدِ الفاسدةِ** - تَعلمُ حُسْنَ التَّوحيدِ، والإخلاصِ للَّه، كما تَعلمُ قُبحَ الشِّركِ، وتعلَمُ حُسنَ الصِّدقِ، والعدلِ، والإحسانِ إلى المخلوقينَ كما تَعلمُ قُبحَ ضدِّه، وتعلمُ وجوبَ شكرِ المنعمِ، ووجوبَ حقِّ الوالدينِ، وصلَةَ الرَّحِمِ، والقيامَ بحقوقِ من له حقٌّ عليكَ، وتنهى عن ضدِّه، وتستحسنُ كلَّ صلاحٍ، وتستقبحُ كلَّ فسادٍ وضررٍ .

ومِن أشرَف ما يُعلمُ بالعقلِ أنَّهُ مركوزٌ في العقولِ أنَّ الكمالَ المطلقَ للَّهِ وحدَه، وأنَّ له الحكمةَ التَّامَّةَ في خلقِه وشرعِه، وأنَّهُ لا يليقُ به أن يَترُكَ خلقَه سدىً لا يؤمنونَ ولا يُنهَون، ولا يُثابونَ ولا يُعاقَبونَ، ومركوزٌ في

---

(١) هذه إشارةٌ لطيفةٌ مِن المُصنِّف رحمه اللَّه إلى مسألَة التَّحسين والتَّقبيح العقليَّين، وأنَّ العقلَ قَد يُدرِك حُسْنَ الأشياءِ، لكنَّه لا يستقلُّ بإدراكِها .

العقولِ وجوبُ القيامِ بحقٍّ من كانَ لهُ حقٌّ عليكَ .

وكلُّ ما دَعت إليهِ الشَّريعةُ فمركوزٌ في العقلِ حُسنُه، كما أنَّهُ كلُّ ما نَهَت عنه، فإنَّهُ معلومٌ في العقلِ قُبحه، ومِنَ المعلومِ بالحسِّ ما يُدرَكُ بالحسِّ، كسمعِ الأصواتِ، وإبصارِ الأعيانِ، وهو مِن أتمِّ المعارِفِ، فإنَّهُ « ليس الخبرُ كالمعاينةِ »[1].

---

(١) صحَّ هذا عن النَّبي ﷺ : رواه أحمد في « المسند » (١ / ٢١٥ ، ٢٧١)، وابن حبان في « صحيحه » (٦٢١٣)، والحاكم (٢ / ٣٢١)، وأبو الشيخ في « الأمثال » (٥) من طريق هُشَيم، عن أبي بِشر، عن سعيد بن جُبير، عن عبدالله بن عبَّاس رضي الله عنهما .

وفي سنده هُشيم بن بَشير : مدلِّس .

ولكنَّه توبعَ :

فرواه ابنُ حبان (٦٢١٤)، والبزار (٢٠٠)، والطَّبراني في « الكبير » (١٢٤٥١)، والحاكم (٢ / ٣٨٠) مِن طرق عن أبي عَوانةَ عن أبي بِشْر به .

بلفظ : « ليسَ المُخبِر كالمُعايِن » .

وسنده صحيح .

فلهذا كانَ **عَيْنُ اليَقينِ** - وهو الـمُشَاهَدُ بالبصرِ - أعظمَ من **علمِ اليقينِ** - وهو العلمُ الثَّابتُ بالـخبرِ - وأعلى منهما **حقُّ اليقينِ**[1] - وهو الـمُدْرَكُ بالذَّوقِ - .

فلهذا ينبغي للعبدِ أن يسعى في تـحصيلِ العلمِ النَّافعِ، ولا يكتفي بعلمِ اليقين مع تمكُّنِه من عينِ اليقينِ، كما طلبَ الـخليلُ ﷺ منَ اللَّهِ أن يُريَهُ كيفَ يُـحيي الموتى ليرتَقي من علمٍ ألى أعلى منه[2].

ومِن حقِّ اليقينِ علمُ ما في معرفَةِ اللَّهِ، وعبوديَّته، والإنابَةِ إليهِ، واللَّـهَجِ بذكرِه، من مواجيدِ الإيمـانِ، وذوقِ حلاوتهِ القلبيَّةِ، والطُّمأنينةِ التي تستقرُّ في قلوبِ الـمُنيبينَ الذَّاكرينَ .

ومنَ الـمُدْرَكِ بالـحواسِّ ما يُدْرَكُ بالشمِّ؛ كشمِّ الرَّوائح الطَّيبةِ والـخبيثةِ، وما يُدْرَكُ باللَّمسِ؛ كالـحرارةِ

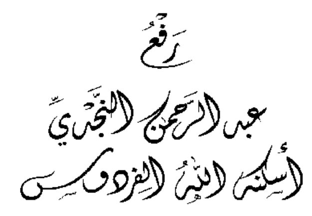
---

(١) وقد وَرَدَ النصُّ القُرآني بإثبات هذه الدَّرجات الثَّلاث .
(٢) قارن بـ « شرح العقيدة الطحاوية » (ص ٣٣٥) .

والبرودَةِ، وما يُدْرَكُ بتحليلِ الأشياءِ والوُقوفِ على موادِّها وجواهرِها وصفاتِها، كلُّ هذا من مُدْرَكاتِ الحسِّ .

فطُرُقُ العلمِ إلى المعلوماتِ كثيرةٌ جدًّاً، وكلَّما كانَ الشَّيءُ أعظمَ، ومعرفتُه أهمَّ، كانت الطُّرُقُ الموْصِلَةُ إليهِ أكثرَ وأوضَحَ وأصحَّ وأقوى؛ كما تقدَّمت الإشارةُ إلى التَّوحيدِ والنُّبوَّةِ والمعادِ، واللَّهُ أعلم .

□ □ □ □ □





ما الآدابُ التي ينبغي للعالِمِ والمتَعلِّمِ التَّخلُّقُ بها ؟

الجوابُ : أصلُ الأدبِ لكلٍّ منهما، الإخلاصُ للَّه، وطلبُ مرضاتِه، وقصدُ إحياءِ الدِّينِ، والاقتداءُ بسيِّدِ المرسلين؛ فَيَقْصِدُ وجهَ اللَّهِ تعالى من تَعلُّمِه، وتَفَهُّمِه وتَفهِيمِه، وفي مطالعتِه ومدارسَتِه ومراجعتِه، وأن يُزيلَ عن نَفسِه وَغيرِه موتَ الجهلِ وظُلْمَتَهُ، ويُنيرَ قلبَهُ ويُحييه بالعلمِ النَّافِعِ .

فإنَّ العلمَ نورٌ يُستَضاءُ بِه في الظُّلماتِ وحِنْدِسِ(١) الجهالاتِ، فكُلَّما ازدادَ علماً ازدادَ نوراً بمعرفةِ الحقِّ

(١) هو اللَّيل الشَّديد الظُّلمة

مِنَ الباطِلِ، والهدى من الضَّلالِ، والحلالِ من الحرامِ، والصَّحيحِ منَ الفاسِدِ، وعرفَ مراتِبَ الأشياءِ وطُرُقَ الخيرِ منَ الشرِّ .

فالعلمُ عبادَةٌ تجمعُ عدَّةَ قُرُباتٍ :

التَّقرُّب إلى اللَّهِ بالاشتغالِ به؛ فإنَّ أكثرَ الأئمَّةِ نَصُّوا على تفضيلِهِ على أُمَّهاتِ العبادَاتِ - وذلكَ في أوقاتِهِم الزَّاهِرَة بالعلمِ، فكيفَ بهذِهِ الأوقاتِ التي تلاشى فيها وكادَ أن يضمحلَّ ! - .

والاستكثار من ميراثِ النَّبيِّ ﷺ، وأنَّ « من سلكَ طريقاً يلتمسُ فيهِ علماً نافعاً سهَّلَ اللَّهُ لهُ بِهِ طريقاً إلى الجنَّةِ »(١).

ونَفْعُهُ واصِلٌ لصاحِبِه، ومُتَعدٍّ إلى غيرِه، ونافعٌ لصاحِبِه حيًّاً ومَيْتاً، وإذا انقطعتِ الأعمالُ بالموتِ، وطُوِيَت صحيفةُ العبدِ، فأهلُ العلمِ حَسَناتهُم تتزايد

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٦) عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

كُلَّما انْتُفِعَ بإرشادِهِم، واهْتُدِيَ بأقوالـهم وأفعالـهم .

فـحقيقٌ بالعاقل الـموفَّقِ أن يُنفقَ فيه نفائسَ أوقاتِه، وجواهِرَ عمرِه، وأن يَعُدَّهُ ليومِ فقرِه، وفاقتِه .

وينبغي للـمعلِّم أن يَصبِرَ على التَّعليمِ، ويبذُلَ جهدَهُ في تَفهيمِ كلِّ طالبٍ ما يتحمَّلُه ذهنُه، ولا يَشْغَلُهُ بكثرةِ القراءاتِ، أو بما لا يتحمَّلُهُ ذهنُه، وأنْ يُنَشِّطه على الدَّوامِ، ويُكثرَ مِن سؤالِه وامتحانِه، ويُمرِّنَه على المباحثة وتصوير[1] المسائلِ، وبيانِ حكمتها ومآخِذِها، ومن أيِّ الأصولِ الشَّرعيَّةِ أُخِذَت؛ **فإنَّ معرفَةَ الأُصولِ والضَّوابِطِ، واعتبارها بالـمسائل والصُّورِ من أنفعِ طُرُقِ التَّعليمِ .**

وكلَّما ذاقَ طالبُ العلمِ لذَّةَ فَهمِه، وحسنَ مأخذِه، ازدادت رغبتُه، وقويَ فهمُه .

وكذلك ينبغي له أن يُوقِظَ فهمَه بكثرَةِ البحثِ، والسُّؤالِ والجوابِ، وَيُرِيَهُ السُّرورَ إذا أوردَ عليهِ سؤالاً أو

---

(١) لعلَّه يريدُ تصوُّرَها وتَفهُّمَها .

إشكالاً، أو عارضَه بما قاله؛ **فإنَّ القصدَ النَّفعُ، والوصولُ للحقِّ، لا الانتصارُ للقولِ الذي يقولُه، والمذهبِ الذي يَصيرُ إليه .**

بل إذا أرشدَهُ مَن دونَه إلى خَلَلٍ بما قاله، شكرَهُ عليه، وبحثَ معه بحثاً يقصدُ منهُ الوصولَ إلى الحقيقةِ، لا نصرَ ما هوَ عليهِ منَ الطَّريقةِ .

ورجوع المعلِّم إلى فهم المُتَعَلِّم - حيثُ يكونُ أقربَ إلى الصَّوابِ - أدلُّ شيءٍ على فضيلتهِ، وعلوِّ مرتبتِه، وحُسنِ خُلُقه، وإخلاصِه للَّهِ تعالى .

وإذا لم يصل إلى هذا الحالِ، فليُعوِّدْ نَفسَهُ ذلك، وليتمرَّن عليه، **فإنَّ المُزاولات تُعطي المَلَكات، والتَّمرينات تُرَقِّي صاحبَها لِدَرَج الكمالات .**

وينبغي للمتعلِّم أن يُحسنَ الأدبَ معَ معلِّمه، ويحمدَ اللَّهَ إذ يَسَّرَ له من يُعَلِّمُهُ من جهلِه، ويحييه من موتِه، ويوقظُه من سِنَتِه .

وينتهز الفرصةَ كلَّ وقتٍ في الأخذِ عنه .

ويُكْثِرَ منَ الدُّعاءِ له حاضراً أو غائباً، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « مَن صَنَع إليكُم مَعروفاً فكافئوه، فإنْ لـم تـجدوا ما تُكافِئونه فادعوا له حتى تروا أنَّكم كافأتموه »[1].

وأيُّ معروفٍ أعظمُ من معروفِ العلمِ، وكلُّ معروفٍ ينقطعُ إلَّا معروفُ العلمِ والنُّصحِ والإرشادِ .

فكلُّ مسألةٍ استُفيدت عن الإنسانِ فما فوقها - حصَلَ بِها نَفعٌ لمتعلِّمها وغيره - فإنَّهُ معروفٌ وَحسَناتٌ تجري لصاحِبها .

وقد أخبرني صاحِبٌ لي كان قَد أفتى في مسألةٍ في الفرائض، وكان شيخُه قَد تُوفِّي، أنَّـهُ رآه في المنامِ يقرأ

---

(١) رواه أحمد (٢ / ٦٨)، وأبو داود (١٦٧٢)، والنَّسائي (٥ / ٨٢)، والبخاري في « الأدب المفرد » (٢١٦)، وابن حبان (٣٤٠٨)، والحاكم (١ / ٤١٢) و (٢ / ١٣)، والطَّيالسي (١٨٩٥)، وغيرهم من حديث عبدالله بن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنهما، وهو حديثٌ صحيح .

في قبره، فقال : المسألةُ الفُلانيَّة التي أفتيتَ فيها وَصَلني أجرُها .

وهذا أمرٌ معروفٌ في الشَّرعِ : « مَن سَنَّ سنَّةً حسنَةً فلهُ أجرُها وأجرُ من عملَ بها إلى يومِ القيامَةِ »[1].

وينبغي أيضاً للمتعلِّم أن يَلْطُفَ بالسُّؤالِ، ويُرْفِقَ بمعلِّمه، ولا يسألَه في حالَةِ ضجرٍ أو مَلَلٍ أو غَضَبٍ، لئلَّا يتصَوَّر خلافَ الحقِّ مع تشوُّش الذِّهنِ، وأقلُّ الحالاتِ أن يقع الجوابُ ناقصاً .

وإذا رآهُ مُخطئاً في شيءٍ، فلا يُصرِّحْ بالخطأ، بل يُنبِّهه بصورَةِ متعلِّمٍ وسائلٍ، فإنَّهُ لا يزالُ كذلكَ حتى يتَّضحَ له الصَّوابُ؛ **لأنَّ كثيراً منَ النَّاسِ إذا صرَّحْتَ له بخطئهِ، بَعُدَ رجوعُه، وصَعُبَ عليهِ الأمرُ، إلَّا مَن مَلَكَ نفسَه وخلَّقها بالأخلاقِ الجميلةِ، فإنَّهُ لا يُبالي إذا رُدَّ**

(١) هو قطعة من حديث طويل، رواه مسلم في « صحيحه » (١٠١٧) من حديث جرير بن عبدالله البَجَلي رضي الله عنه .

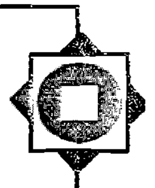
عليهِ قولُه، وصُرِّحَ لهُ بالخطأ[1]، وهذه الحالُ مِن أندرِ الأحوالِ، وليس بينَ العبدِ وَبينها إلّا توفيقُ اللَّهِ، والاجتهادُ في رياضَةِ النَّفس .

وكذلك ينبغي للمتَعلِّم إذا دَخَلَ في فنٍّ من فنونِ العلمِ، أن **ينظرَ إلى كلِّ بابٍ من أبوابِ العلمِ**، فيحفظَ منهُ الأشياءَ المهمَّةَ، وبحوثَه النَّافعةَ، فيُحقِّقَها ويتصوَّرَها كما ينبغي، ويحرصَ على مآخذِها، وما هي مبنيَّةٌ عليه، فإنَّه لا يزالُ على هذه الحال حتى يَحْصُلَ له خيرٌ كثيرٌ، وعلمٌ غزيرٌ؛ ﴿ وَمن يُؤتَ الحكمَةَ فقد أُوتيَ خَيراً كثيراً ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

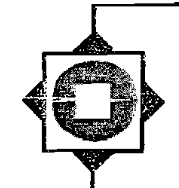
ويسأَلُ اللَّهَ التَّوفيقَ والهدايةَ دائماً؛ فإنَّهُ قريبٌ مُجيبٌ، وصلَّى اللَّه على محمَّد وسلم .

---

(١) ولقد عايَشنا ذلك وعاينَّاه .. وامتُحنَّا بسببه وكابَدناه .. حتى (كِدنا) نندمُ على مثل هذه الحال .. من بعض (الرِّجال) !



فائدة السُّؤال لمن يوجَّه إليه



س - ما فائدةُ السُّؤال لـمن يوجَّه إليه ؟

ج - يقول الشَّيخُ[1] في جملة جوابٍ له :

« ونـحنُ مـمنونونَ في كلِّ ما يقعُ لكم من إشكالات؛ لأنَّها قد تَصيرُ سبباً لبحثِ أمورٍ لـم تـخطرْ على البال، ومراجعةِ مـحالِّـها؛ وهذا مِن طُرِقِ العلمِ، فلا تـحرمونا ذلك، أرجو اللَّهَ أن يـجعلَ عملنا وإيَّاكُم خالصاً لوجهه .

وينبغي للمفتي والعامِل في مسائل الـخلافِ أنْ يتـحرَّز في الـخروج من الـخلاف، وأن يسلكَ طريقَ

(١) يعني المصنِّف، وهذا الكلامُ من كلام جامع « الفتاوى السَّعديَّة »؛ نقلاً عن بعض أجوبة المؤلِّف - رحمه اللَّه - وفتاويه .

الاحتياط[١] في فتواه وعمله، إلَّا إذا كانَ الخلافُ ضعيفاً جدَّاً لا يُنظَرُ إليه، وليسَ له حظٌّ منَ النَّظرِ[٢].

هذا في ابتداءِ الأمرِ، وفي الأمرِ الذي يمكنُ تلافيه .

فأمَّا إذا مضى الأمرُ، وحَصَلَ العملُ بقولِ مُفتٍ، والمسألةُ خلافيَّةٌ، والخلافُ فيها قوليٌّ له حظٌّ من النَّظر والدَّليل، فينبغي عدمُ الحُكمِ بنقضِه وإبطالِه؛ لأنَّ الأمورَ لها أحوالٌ وقتَ الابتداءِ وإمكانِ التَّدارُكِ، وأحوالٌ إذا تَعذَّرَ ذلك[٣].

---

(١) الاحتياط المبنيّ على العلم والنَّظر، وليسَ الاحتياط القائم على الوساوس والأوهام !

(٢) لذا؛ فقد قالَ مَن قالَ من أهلِ العلمِ :

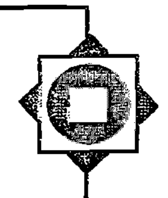
وليسَ كلُّ خلافٍ جاء مُعتبرا
إلَّا خلافٌ له حظٌّ مِن النَّظَرِ

(٣) وهذا من دقيقِ الفقهِ ونفيسهِ، إذ الحكمُ بنقض الحكم وإبطالِه - بَعْدَ نَفاذِه - يُؤدِّي إلى مَفاسِد كثيرة، وفتن كبيرة، ومصائبَ مريرة .

والمتأمِّل في (واقع) الأمَّة الإسلاميَّة اليوم يرى أنَّ الغفلة عن هذا التَّنبيهِ الفقهيِّ الدَّقيق سببٌ مِن أسبابِ التَّشتُّت والفُرقَة والتَّدابُر .



في أقسامِ العلومِ



س - ما هيَ أقسامُ العلومِ ؟

ج - العلوم قسمـان :

علومٌ نافعةٌ تُزكِّي النُّفوسَ، وتُهذِّبُ الأخلاقَ، وتُصلحُ العقائدَ، وتكون بها الأعمالُ صالحةً مثمرَةً للخيراتِ؛ وهي العلومُ الشَّرعيَّةُ وما يتبعُها ممَّا يُعينُ عليها مِنْ علومِ العربيَّةِ .

والنَّوعُ الثَّاني : علومٌ لا يُقصَدُ بها تهذيبُ الأخلاقِ، وإصلاحُ العقائدِ والأعمالِ، وإنَّما يُقصدُ بها المنافعُ الدنيويَّةُ فقط، فهذهِ صناعةٌ منَ الصِّناعاتِ، وتتفاوَتُ بتفاوُتِ منافِعها الدُّنيويَّة .

فإنْ قُصِدَ بِها الخيرُ، وبُنِيَت على الإيمان والدِّين،

صارت علوماً دنيويَّة دينيَّة .

وإن لم يُقصدْ بها الدِّينُ، صارت علوماً دنيويَّة محضَةً لا غايَةَ شريفةً لها، بل غاياتُها دنيئةٌ ناقصةٌ جدًّا، وربَّما ضُرِبَ أهلُها من وجهين :

أحدهما : قد تكون سبباً لشقائِهم الدُّنيويِّ وهلاكِهم وحُلولِ المَثُلاتِ[1] بِهم، كما هو مُشاهَدٌ في هذه الأوقاتِ؛ حيثُ صارَ ضَررُ العلومِ التي أَحدثتِ المخترعاتِ والأسلحةَ الفتَّاكةَ شرًّا عظيماً على أهلها وغيرِهم .

والثَّاني : أنَّ أهلها يحدثُ لهم الزَّهْوُ، والكِبْرُ، والإعجابُ بها، وجعلُها هيَ الغايةَ المقصودَةَ من كلِّ شيءٍ، فيحتقرونَ غيرَهُم، ويُنَاوئونَ علومَ الرُّسُلِ التي هيَ العلومُ النَّافعةُ، فيدفعونَها، ويتكبَّرونَ عنها فَرِحينَ

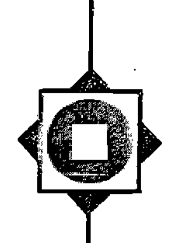
---

(١) العقوبات .
وانظر ماتقدَّم (ص ٢١) .

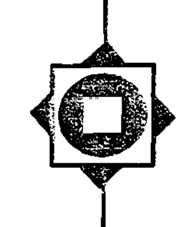
بعلومِهِم التي تميَّزوا بها عن كثيرٍ مِنَ النَّاسِ، فهؤلاء ينطبقُ عليهم أتمَّ انطباق قولُه تعالى : ﴿ فَلَمَّا جاءَتهُم رُسُلُهُم بالبَيِّناتِ فَرِحوا بما عِندَهُم مِنَ العِلمِ وحَاقَ بِهِم ما كانوا به يستهزِئونَ ﴾ [غافر : ٨٣] .

فنعوذُ باللَّهِ من علمٍ لا ينفعُ .

□ □ □ □ □



[من آداب المُعلِّمينَ والمتعلِّمين]



يتعيَّنُ على أهلِ العلمِ منَ المُتَعلِّمينَ وَالمُعلِّمينَ أن يجعلوا أساسَ أمرِهِم الذي يبنونَ عليهِ حركاتِهم وسكَناتِهِم الأخلاصَ الكامِلَ، والتَّقرُّبَ إلى اللَّهِ تعالى بهذهِ العِبادَةِ التي هيَ أجَلُّ العبادَاتِ وأكمَلُها وأنفعُها وأعَمُّها نَفعاً .

وَيتَفَقَّدوا هذا الأصلَ النَّافعَ في كلِّ دقيقٍ من أمورِهِم وجليلٍ؛ فإنْ دَرَسوا أو دارَسوا، أو بحثوا أو ناظَروا، أو أسمَعوا أو استَمعُوا، أو كتَبوا أو حفِظوا، أو كرَّروا دروسَهُم الخاصَّة، أو راجعوا عليها أو على غيرِها الكتب الأخرى، أو جلسوا مجلسَ علمٍ، أو نقلوا أقدامَهُم

لـمجالسِ العلمِ، أو اشتروا كتباً، أو ما يُعينُ على العلـمِ، كانَ الإخلاصُ للَّهِ واحتسابُ أجرِه وثوابِه ملازماً لـهُم، ليصيرَ اشتغالُهم كلُّه قوَّةً وطاعةً، وسيراً إلى اللَّهِ وإلى كرامتِهِ، ولـيتحقَّقوا بقولِه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم : « من سلكَ طريقاً يلتَمسُ فيهِ علـماً نافعاً سهَّلَ اللَّهُ له طريقاً إلى الـجنَّةِ »[1].

فكلُّ طريقٍ حِسّيٍّ أو معنَويٍّ يسلُكُه أهلُ العلمِ يُعينُ على العلمِ، أو يُـحصِّلُه فإنَّهُ داخلٌ في هذا .

ثمَّ بعدَ هذا يتعيَّـنُ البداءةُ بالأهمِّ فالأهمِّ[2] من العلومِ الشَّرعيَّةِ، وما يُعينُ عليها من علومِ العربيَّةِ .

وتفصيلُ هذهِ الـجملةِ كثيرٌ معروفٌ يـختلفُ باختلافِ الأحوالِ والأشخاصِ[3].

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) وهي مِن قواعد العلم الأساسيَّة .

(٣) وهذه كلمةٌ مهمَّةٌ فيها الإجابةُ على سؤالٍ يسأَلُه كثيرٌ من مِن الشَّباب : كيفَ نتعلَّم ؟ وبماذا نبدأ ؟ =

وينبغي أن يسلكَ أقربَ طريقٍ يُوصلُ إلى المقصودِ الذي يطلُبُه، وأن ينتقيَ من مصنَّفاتِ الفَنِّ الذي يشتغلُ فيه أحسَنَها وأوضحَها، وأكثرَها فائدةً .

ويجعلَ جُلَّ همِّهِ واشتغالِه بذلكَ الكتابِ حفظاً عندَ الإمكانِ، أو دراسةَ تكريرٍ؛ بحيث تصيرُ معانيه معقولةً في ذهنِه محفوظةً، ثمَّ لا يزالُ يُكرِّرُ ما مرَّ عليهِ ويُعيدُه .

وعلى المُعلِّمِ أن ينظرَ إلى ذهنِ المُتَعلِّم، وقوَّةِ استعدادِه أو ضعفِه، فلا يدَعُهُ يشتغلُ بكتابٍ لا يناسِبُ حالَه؛ فإنَّ هذا من عَدَمِ النُّصحِ، **فإنَّ القليلَ الذي يَفهمُه ويَعقِلُه خيرٌ من الكثيرِ الذي هوَ عُرضَةٌ لعَدَمِ الفَهمِ والنِّسيانِ**، وكذلك يُلقي عليهِ من التَّوضيحِ وَالتَّقريرِ لدرسِهِ بِقَدْرِ ما يتَّسعُ فهمُه لإدراكِه .

ولا يخلطُ المسائلَ بعضَها ببعضٍ .

= فالجوابُ : معرفةُ المنهج هيَ الأساس .

وأمَّا تطبيقه : فإنَّه يختلفُ باختلافِ الأحوالِ والأشخاصِ؛ مِن حيث هِمَّتُهم وفراغُهم وتوجُّهُهم كما قالَ المصنِّف رحمه اللَّه تعالى .

وينبغي أن لا ينْتقلَ من نوعٍ منَ أنواعِ المسائِلِ إلى نوعٍ آخَر حتى يتصوَّرَ ويُحقِّقَ السَّابِقَ؛ فإنَّهُ دَرَكٌ[1] للسَّابِقِ، وبه يتوفَّرُ الفهمُ على اللَّاحِقِ.

فأمَّا إذا أدخلَ المسائلَ والأنواعَ بعضَها ببعض قبلَ فَهْمِ المتعلِّم، فإنَّهُ سببٌ لإضاعةِ الأوَّلِ، وعدمِ فهمِ اللَّاحِقِ، ثمَّ تتزاحَمُ المسائلُ التي لم يحقِّقْها على ذهنِه فَيَمَلُّها، ويضيقُ عَطَنُه[2] عن العَوْدِ إليها، فلا ينبغي أن يُهملَ هذا الأمرُ.

وعلى المعلِّم النُّصحُ للمتعلِّمِ بكلِّ ما يقدِرُ عليهِ من التَّعليمِ، والصَّبرُ على عَدَمِ أدراكِه، وعلى عَدَمِ أدبِه،

---

(١) الدَّرَك : اللَّحاق .

(٢) العَطَنُ في أصل الاستعمال اللغوي هو مَبْرَكُ الإبل، وتُستَعمل مجازاً على غيرِ وَجهِها؛ فيُقال :

« فُلان واسعُ العَطَن : أي واسِعُ الصَّبر عندَ الشَّدائد »، وعكسُه : فُلان ضيِّقُ العَطَن .

انظر « أساس البلاغة » (ص ٤٢٦)، و « القاموس المحيط » (١٥٦٩) .

وجفائِهِ، مع شدَّةِ حرصِهِ ومُلاحظتِه لكلِّ ما يُقوِّمه ويُهذِّبه ويُحسن أدبَه .

لأنَّ المتعلِّم لهُ حقٌّ على المعلِّم؛ حيثُ أقبلَ على الاشتغالِ بالعلمِ الذي ينفعُه وينفعُ النَّاسَ، وحيثُ توجَّهَ للمعلِّمِ دونَ غَيرِه، وحيثُ كانَ ما يحمِلُه منَ العلمِ عن المعلِّمِ هو عينَ بضاعَةِ المعلِّم فيحفظُها ويُنَمِّيها، ويتطلَّبُ بها المكاسبَ الرَّابحةَ، فهوَ الوَلدُ الحقيقيُّ للمعلِّمِ، الوارثُ لهُ، قال تعالى : ﴿ فَهَب لي من لَدُنكَ وليّاً يَرِثُني ويَرِثُ مِن آلِ يَعقوبَ ﴾ [مريم : ٦] والمرادُ وراثَةُ العلمِ والحكمَةِ[١] .

فالمعلِّمُ مأجورٌ على نَفْسِ تعليمِه، سواءٌ أفَهِمَ المتَعلِّمُ أو لم يَفهَم؛ فإذا فهمَ ما عُلِّمَهُ، وانتَفعَ بِهِ بنفسِه، ونفَعَ غَيرَه، كانَ الأجرُ جارياً للمُعلِّم ما دامَ النَّفعُ متسلسلاً متَّصلاً .

---

(١) انظر « تيسير الكريم الرحمن » (٥ / ٩١) للمؤلِّف رحمه اللّٰه تعالى .

وهذهِ تجارةٌ بمثلها يتنافَسُ المتنافسونَ .

فعلى المعلِّم أن يسعى سعياً شديداً في إيجادِ هذهِ التِّجارَةِ وتَنميتِها، فهيَ من عملِه، وآثارِ عملِه .

قال تعالى : ﴿ إنَّا نحنُ نُحيي الموتى ونَكتُبُ ما قدَّموا وآثارَهُم ﴾ [يس : ١٢] :

فـ ﴿ ما قدَّموا ﴾ : ما باشروا عملَه .

و ﴿ آثارَهُم ﴾ : ما تَرَتَّبَ على أعمالِهم منَ المصالِحِ والمنافِعِ، أو ضدِّها في حياتِهم وبَعدَ مماتِهم .

وينبغي أن يُرغِّبَ المتعلمَ بكلِّ طريقٍ، وينشِّطَهُ ولا يُمِلَّهُ بما يَعسُر على فهمِه من أنواعِ العلمِ ومفرداتِه .

وعلى المتعلِّم أن يُوقِّرَ معلِّمَهُ، ويتأدَّبَ معهُ غايَةَ ما يقدرُ عليه؛ لما له مِنَ **الحقِّ العامِّ والخاصِّ** :

أمَّا العامُّ : فإنَّ معلِّمَ الخيرِ قد استعَدَّ لنفعِ الخلقِ بتعليمِه وفتواه، فحقُّهُ على النَّاسِ حقُّ المُحْسِنينَ، ولا أحسانَ أعظمُ وأنفعُ من إحسانِ مَن يُرشِدُ النَّاسَ لأمرِ

دينِهِم، وَيُعلِّمهُم ما جهلوا، ويُنبِّههم لما عنهُ غَفِلوا، ويحصلُ من الخيرِ وانقماعِ الشَّرِّ، ونشرِ الدِّينِ والمعارفِ النَّافعةِ ما هو منْ أنفعِ شيءٍ للمُوَحِّدينَ، ولمَن أتى مِن بعدِهِم من ذُرِّيتِهم وغيرِهم، **فلولا العلمُ كانَ النَّاسُ كالبهائمِ في ظلمةٍ يتخبَّطونَ** .

فهوَ النُّورُ(١) الذي يُهتَدى بهِ في الظُّلُماتِ، والحياةُ للقلوبِ والأرواحِ والدِّينِ والدُّنيا، والبلدُ الذي ليسَ فيهِ مَن يُبيِّنُ للنَّاسِ أمورَ دينِهِم، ويرشدُهم لما ينتابُهم ممَّا هُم في غاية الضَّرورَةِ إليهِ، قد فقَدَ أهلُهُ من ضروراتِهم ومصالحِهم ما يضرُّ فَقْدُه بدينِهم ودنياهُم .

فمن كانَ هذا إحسانَه، وأثَرَهُ على الخَلْقِ؛ كيفَ لا يجبُ على كلِّ مسلم محبَّتُه وتوقيرُه، والقيامُ بحقوقِه ؟!

---

(١) قارن بما كتبه الأخ سليم الهلالي في مجلَّتنا « الأصالة » (عدد : ٤؛ ص : ٣٧) تحت عنوان : « الدَّعوة .. والنُّور » .

وأمَّا **حقُّه الخاصُّ** على المتعلِّم : فَلِمَا بَذَلهُ من تعليمِه، والحرصِ على ما يُرشِدُهُ ويُوصِلُه إلى أعلى الدَّرجاتِ، فليسَ نفعُ الآباءِ والأمَّهاتِ نظيراً لنفعِ المعلِّمينَ المُرَبِّينَ للنَّاسِ بصغارِ العلمِ قبلَ كبَارِه[1]، الباذلينَ نفائسَ أوقاتِهِم، وصَفوَةَ أفكارِهِم، في تفهيمِ المسترشدينَ بكلِّ طريقٍ ووسيلةٍ يقدرونَ عليها .

وإذا كانَ مَن أحسنَ إلى الإنسانِ بهديَّةٍ ماليَّةٍ - ينتفعُ بها ثمَّ تزولُ وَتَذهبُ - له حقٌّ كبيرٌ على المحسنِ إليه، فما الظنُّ بهدايا العلمِ النَّافِعِ الكثيرَةِ المتنوِّعةِ الباقي نفعُها ما دامَ العبدُ حيّاً وبعدَ مماتِه؛ المتسلسلُ[2] بحسبِ حالِ تلكَ الهدايا ! فحينئذٍ يعرفُ أنَّ له مِنَ الحقِّ والتَّوقيرِ وحُسنِ الأدبِ معه والوقوفِ مع إشارتِه، وعدمِ الخروجِ عمَّا أشارَ إليهِ ممَّا ينفعُه منَ الأمورِ

---

(١) قارن بـ « صحيح البخاري » (١ / ١٥٩ - فتح) .
(٢) أي : نفعُها .

التي قد جرَّبها - وهوَ أعرفُ بها منه من كيفيَّاتِ التَّعليمِ ونـحوِها - ما ليس لغيرِه .

ولْيجلِسَ بينَ يديهِ متأدِّباً، ويُظهر غاية حاجتِه إلى علمِه، ويدعوَ له حاضراً وغائباً .

وإذا أتـحفَهُ بفائدَةٍ أو توضيحٍ لـمشكِلٍ، فلا يُظْهِر أنَّهُ عرفَهُ قبلَهُ - وإن كانَ عارِفاً لهُ - بل يُصغي إليهِ إصغاءَ الـمتطلِّبِ بشدَّةٍ إلى الفائدَةِ .

هذا فيما يعرفهُ، فكيفَ بما لـم يعرفُه !؟

ولـهذا كانَ هذا الأدبُ مُسْتَحْسَناً مع كلِّ أحدٍ في العلومِ والـمُخَاطَباتِ؛ في الأمورِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ .

وإذا أخطأَ الـمعلِّمُ في شيءٍ فَلْيُنَبِّهْهُ برفقٍ ولُطفٍ بـحسب الـمقامِ، ولا يقولُ لهُ : أخطأتَ، أو : ليسَ الأمرُ كما تقولُ ! بل يأتي بعبارَةٍ لطيفَةٍ، يُدرِكُ بها الـمعلِّمُ خطأهُ من دونِ أن يتشوَّشَ قلبُه، فإنَّ هذا منَ الـحقوقِ اللَّازمَةِ، وهو أدعى إلى الوصولِ إلى الصَّوابِ، **فإنَّ الردَّ الذي**

يصحبُهُ سوءُ الأدَبِ وإزعاجُ القلبِ، يمنعُ من تصَوُّرِ الصَّوابِ ومِن قصدِه .

وكما أنَّ هذا لازمٌ على المتعلِّمِ، فعلى المُعلِّم إذا أخطأ أن يرجعَ إلى الحقِّ، ولا يمنعُه قولٌ قالَه ثمَّ رأى الصَّوابَ في خلافِه من مراجعَةِ الحقِّ والرُّجوعِ إليه، فإنَّ هذا علامَةُ الإنصافِ والتَّواضُعِ للحقِّ، **فالواجِبُ اتِّباعُ الصَّوابِ، سواءٌ جاءَ على يدِ الصَّغيرِ أو الكبيرِ .**

ومِن نعمةِ اللَّهِ على المعلِّم أن يجدَ مِن تلاميذِه مَن يُنبِّهُه على خطئِه ويُرشِدُهُ إلى الصَّوابِ؛ ليزولَ استمرارُه على جهلِه، فهذا يحتاجُ إلى شكرِ للَّهِ تعالى، ثمَّ إلى شكرِ مَنْ أجرى اللَّهُ الهدى على يديه متعلِّماً كانَ أو غيرَه .

ومِن أعظم ما يجبُ على المُعلِّمينَ أن يقولوا لما لا يعلمونَه : اللَّهُ أعلمُ؛ وليسَ هذا بناقِصٍ لأقدارِهِم، بل هذا ممَّا يزيدُ قَدْرَهُم، ويُستَدلُّ بهِ على كمالِ دينِهِم، وتحرِّيهِم للصَّوابِ .

وفي توقُّفِهِ عمَّا لا يعلم فوائدُ كثيرةٌ :

منها : أنَّ هذا هو الواجبُ عليهِ .

ومنها : أنَّهُ إذا توقَّفَ وقال : اللَّهُ أعلمُ؛ فما أسرَعَ ما يأتيهِ علمُ ذلكَ من مراجعتِه أو مراجعةِ غيرِه؛ فإنَّ المُتَعلِّمَ إذا رأى مُعلِّمَهُ قد توقَّفَ جدَّ واجتهَدَ في تحصيلِ علمِها وإتحافِ المُعلِّمِ بها، فما أحسنَ هذا الأثرَ!

ومنها : أنَّهُ إذا توقَّفَ فيما لا يعرفُ، كانَ دليلاً على ثقتِه وأمانَتِه وإتقانِه فيما يجزمُ بِهِ منَ المسائلِ، كما أنَّ مَن عُرِفَ منهُ **الإقدامُ على الكَلامِ فيما لا يَعلمُ** كانَ ذلكَ داعياً للرِّيبِ في كلِّ ما يتكلَّمُ به، حتى في الأمورِ الواضِحةِ .

ومنها : أنَّ المُعلِّمَ إذا رأى منهُ المتعلِّمونَ التَّوقُّفَ فيما لا يعلمُ كانَ ذلكَ تعليماً لهم وإرشاداً لهذهِ الطَّريقةِ الحسنَةِ، **والاقتداءُ بالأحوالِ والأعمالِ أبلغُ منَ الاقتداءِ بالأقوالِ** .

وممَّا يُعينُ على هذا المطلوبِ أنَّهُ يفتحُ المُعلِّمُ للمُتَعلِّمينَ بابَ المناظرَةِ في المسائِلِ والاحتجاجِ، وأنْ يكونَ القصدُ واحداً، وهو اتِّباعُ ما رجَّحتْهُ الأدلَّةُ، فإنَّهُ إذا جعلَ هذا الأمرَ نُصبَ عينيهِ وأعينهم، تنوَّرت الأفكارُ وعُرفت المآخذُ والبراهينُ، واتُّبِعت الحقائقُ، **وكانَ** **دُ الأصليُّ معرفَةَ الحقِّ واتِّباعَه .**

فالحذَرَ الحذَرَ منَ التَّعصُّبِ للأقوالِ والقائلينَ[1]، أنْ يجعلَ القصدَ منَ المناظرَةِ والمُباحثةِ نصرَ القولِ قالَه، أو قالَهُ مَن يُعظِّمه، **فإنَّ التَّعصُّبَ مُذهِبٌ للإخلاصِ، مزيلٌ لبهجةِ العلمِ**، مُعْمٍ للحقائقِ، فاتحٌ بابَ الحقدِ والخِصامِ الضَّارِّ، كما أنَّ الإنصافَ هوَ زينةُ العلمِ، وعنوانُ الإخلاصِ والنُّصحِ والفلاحِ .

---

(١) كلامٌ يُكتبُ بماءِ الذَّهبِ ! إذ سوادُ التَّعصُّبِ يقتلُ الحُبَّ في اللَّهِ، ويَمْحي أصلَ حُسْنِ الظنِّ بينَ المسلمين، ويُذيب صفاءَ المودَّة .. ولا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّه .

ثُمَّ الحَذَرَ الحذَرَ مِن طلبِ العلمِ للأغراضِ الفاسدَةِ والمقاصِدِ السَّيئةِ، مِنَ المباهاةِ، والمُماراةِ، والرِّياءِ، وَالسُّمعةِ، وأن يجعلَهُ وسيلَةً للأمورِ الدُّنيويَّةِ والرِّياسةِ، فليسَت هذهِ حالَ أهلِ العلمِ الذينَ هُم أهلُه في الحقيقةِ .

وَمَن طلبَ العلمَ أو استعمَلَهُ في أغراضِه السَّيِّئةِ فليسَ لهُ في الآخِرَةِ من خَلاقٍ .

ومِن أعظمِ ما يتعيَّنُ على أهلِ العلمِ : الاتِّصافُ بما يدعو إليهِ العلمُ منَ الأخلاقِ والأعمالِ والتَّعليم، فَهُم أحقُّ النَّاسِ بالاتِّصافِ بالأخلاقِ الجميلَةِ، والتَّخلِّي منْ كلِّ خُلُقٍ رذيلٍ، وهُم أولى النَّاسِ بالقيامِ بالواجِباتِ الظَّاهِرَةِ والباطنَةِ، وتركِ المحرَّماتِ؛ لما تميَّزوا بهِ منَ العلمِ والمعارِفِ التي لم تحصُل لغَيرِهِم، ولأنَّهُم قدوةٌ للنَّاسِ، **والنَّاسُ مجبولونَ على الاقتداء بعلمائِهم شاؤوا أم أبَوْا في كثيرٍ مِن أمورِهِم**(١)، ولأنَّهُم يتطرَّقُ إليهِم من

---

(١) فليتَّقِ اللَّهَ في أنفسِهم مَن أضْحَوْا اليومَ رُموزاً في =

الاعتراضِ والقوادِحِ عندما يتركونَ ما يدعو إليهِ العلمُ أعظمُ مـمَّـا يتطَرَّقُ على غيرِهِم .

وأيضاً؛ فكانَ السَّلفُ يستعينونَ بالعملِ على العلمِ، فإنْ عُمِلَ بهِ استقرَّ ودامَ ونما وكثُرتْ بركتُه، وإنْ تُرِكَ العَملُ بهِ ذهبَ أو عُدمت بركتُه، فروحُ العلمِ وحياتُه وقِوامُه، إنَّما هوَ بالقيامِ بهِ عملاً، وتـخلُّقاً، وتعليماً ونُصحاً، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللَّهِ العليِّ العظِيم .

وينبغي سلوكُ الطَّريقِ النَّافعِ عندَ البحثِ؛ تعلُّماً وتعليماً، فإذا شرعَ الـمُعلِّمُ في مسألةٍ وضَّحها وأوصلـها إلى أفهامِ الـمُتعلِّمينَ بكلِّ ما يقدرُ عليهِ منَ التَّعبيرِ، وضربِ الأمثالِ، والتَّصويرِ وَالتَّـحريرِ، ثمَّ لا ينتقلُ منها إلى غيرها قبلَ تفهيمها للـمتعلِّمينَ .

= أذهان الشَّباب، ومُقتدىً بهم في عقولِ النَّاسِ، ولْيَعْلَموا أنَّ الأمانةَ ثقيلَةٌ، والواجبُ عظيمٌ، وأنَّ « زلَّةُ العالِم زلَّةُ العالَـم »، وأنا أقول - بكلِّ حُبٍّ وصدقٍ - : « زلَّةُ الدَّاعية لكلِّ شرٍّ داعية »؛ ولا مُفَرِّج إلَّا اللَّه .

ولا يَدَعُ المتعلِّمينَ يخرجونَ منَ الموضوعِ الذي لم يُتمَّ تعليمَه وتقريرَه إلى موضوعٍ آخرَ حتى يُحكموه ويفهموه، فإنَّ الخروجَ منَ الموضوعِ إلى غيرِه قبلَ الانتهاءِ منهُ يَحْرِمُ الفائدَة - كما تقدَّمَ - .

وينبغي تعاهُدُ محفوظاتِ المتعلِّمينَ ومعلوماتِهم بالإعادَةِ، والامتحانِ، والحثِّ على المذاكرَةِ، والمراجَعةِ وتكرارِ الدَّرسِ؛ فإنَّ التَّعلُّمَ بمنزِلةِ الغرسِ للأشجارِ، والدَّرسَ والمذاكرَةَ والإعادَةَ بمنزلةِ السَّقيِ لها، وإزالَةِ الأشياءِ الضَّارَّةِ عنها، لتنموَ وتزدادَ على الدَّوامِ .

وكما أنَّ على المعلِّمِ توقيرَ معلِّمه، والأدب معه، فكذلك أقرانُه، والمتعلِّمونَ معه؛ عليه مِن مراعاةِ حقوقِهم، والأدب معهم أعظمُ مِن حقوقِ الأصحابِ بعضِهم إلى بعض، فالصُّحبةُ في طلبِ العلمِ تجمعُ حقوقاً كثيرةً، لأنَّ لهُم حقَّ الأخوَّةِ والصُّحبَةِ، وحقوقَ الاحترامِ - لما قاموا بِهِ منَ الاشتغالِ بما ينفعهُم وينفعُ النَّاسَ - وحقَّ الانتماءِ

إلى معلِّمِهم، وأنَّـهُم بـمنزِلةِ أولادِه، وحقًّاً لنفعِ بعضِهم بعضاً .

ولـهذا ينبغي أن لا يدعَ مُـمْكِناً منْ نفعِ مَن يَقدِرُ على نفعِه منه بتعليمِه ما يـجهَلُ، والبحثِ معهُ للتَّعاوُنِ على الـخيرِ، وإرشادِه لـما فيه نفعُه .

وينبغي أن يكونَ اجتمـاعهُم في كلِّ وقتٍ غنيمةً يتعلَّمُ فيها القاصرُ مـمَّن هوَ أعلى منهُ، ويُعلِّمُ العارِفُ غيرَ العارِفِ، ويتطارحونَ منَ الـمسائِلِ النَّافعةِ .

ولْيجعلوا همَّهُم معقوداً عمَّا هم بصدَدِهِ .

ولْيحذروا منَ الاشتغالِ بالنَّاسِ، والتَّفتيشِ عن أحوالِـهم، والعيبِ لـهم؛ فإنَّ ذلكَ إثمٌ حاضرٌ، والـمعصيةُ منْ أهلِ العلمِ أعظمُ منها من غيرِهم، ولأنَّ غيرَهم يَقْتدي بهم، ومَن كانَ طبعُه الشرَّ مِن غيرِهم جعلَهُم حُجَّةً له، **ولأنَّ الاشتغالَ بالنَّاسِ[1] يُضيعُ المصالحَ**

---

(١) إلَّا بياناً لحقٍّ، أو ردَّاً لباطلٍ، أو نقضاً لبدعةٍ، أو تحذيراً مِن منحرفٍ مُضلٍّ، ونـحو ذلك .

النَّافعةَ، والوقتَ النَّفيسَ، ويُذهِبُ بهجةَ العلمِ ونورَه .

واعلم أنَّ القناعَة باليَسيرِ، والاقتصادَ في أمرِ المعيشةِ مطلوبٌ منْ كلِّ أحدٍ، لا سيَّما المشتغلونَ بالعلمِ، فإنَّهُ كالمُتَعَيِّنِ عليهِم، **لأنَّ العلمَ وظيفةُ العمرِ كلِّه أو معظمِه،** فمتى زَاحَمَتْهُ الأشغالُ الدُّنيويَّةُ والضَّروريَّاتُ حصلَ النَّقصُ بحسبِ ذلكَ .

والاقتصادُ والقناعةُ من أكبرِ العوامِلِ لحصرِ الأشغالِ الدُّنيويَّةِ، وإقبالِ المتعلِّمِ على ما هوَ بصددِه .

ومِن آدابِ العالِمِ والمتَعلِّمِ النُّصحُ، وبثُّ العلومِ النَّافعةِ بحسبِ الإمكانِ حتى لو تعلَّمَ الإنسانُ مسألةً واحدَةً ثمَّ بثَّها، كانَ مِن برَكَةِ علمِه، ولأنَّ ثمرَاتِ العلمِ أنْ يأخذهُ النَّاسُ عنكَ، فمَن شحَّ بعلمِه، ماتَ علمُه بموتِه، وربَّما نسيَهُ وهو حيٌّ، كما أنَّ مَن بثَّ علمَه، كانَ حياةً ثانيةً، وحفظاً لما علمه، وجازاهُ اللَّهُ مِن جنسِ عملِه .

ومِن أهمِّ ما يتعيَّنُ على أهلِ العلمِ - معلِّمينَ أو متعلِّمينَ - السَّعيُ في جَمعِ كلمتِهم وتأليفِ القلوبِ على ذلكَ، وحسمِ أسبابِ الشرِّ والعداوَةِ والبغضاءِ بينَهُم، وأن يجعلوا هذا الأمرَ نُصبَ أعيُنِهِم يَسعَوْنَ لهُ بكلِّ طريقٍ، **لأنَّ المطلوبَ واحدٌ والقصدَ واحِدٌ**، والمصلحةَ مُشتركَةٌ، فَيُحقِّقونَ هذا الأمرَ بمحبَّةِ كلِّ مَن كانَ مِن أهلِ العلمِ، ومَن لهُ قَدَمٌ فيهِ واشتغالٌ أو نُصحٌ، ولا يَدَعونَ الأغراضَ الضَّارَّةَ تَمْلِكُهُم وتمنعُهم من هذا المقصودِ الجليلِ، **فيُحِبُّ بَعضُهُم بعضاً، ويَذُبُّ بعضُهُم عن بعضٍ، ويبذلونَ النَّصيحةَ لمن رَأوْهُ منحرفاً عن الآخرةِ**، ويُبرهنونَ على أنَّ النِّزاعَ في الأمورِ الجزئيَّةِ(١) التي تدعو إلى ضدِّ المحبَّةِ والائتلافِ لا تُقَدَّمُ على الأمورِ الكُلِّيَّةِ التي فيها جمعُ الكلمَةِ .

---

(١) مِمَّا هي مجالُ النَّظر والاجتهاد، أمَّا المسائل المنهجيَّة أو العقائديَّة؛ فهي قواعدُ كلِّيَّة، وأصولٌ أساسيَّة .

ولا يَدَعونَ أعداءَ العلمِ مِنَ العوامِّ وغيرِهِم يتمكَّنونَ مِن إفسادِ ذاتِ بينِهِم وتفريقِ كلمتِهِم، فإنَّ في تحقيقِ هذا المقصدِ الجليلِ والقيامِ بِه مِنَ المنافِعِ ما لا يُعَدُّ ولا يُحصى .

ولو لم يكُن فيه إلَّا أنَّ هذا هوَ الدِّينُ الذي حثَّ عليه الشَّارِعُ بكلِّ طريقٍ [لكفى] .

وأعظمُ مَن يُلزَمُ القيامَ بِه أهلُه، وأنَّهُ مِن أعظمِ الأدلَّةِ على الإخلاصِ والتَّضحيَةِ اللَّذينَ هُما روحُ الدِّينِ، وقُطبُ دائرتِه، وأنَّ بهذا الأمرِ يتَّصفُ العبدُ أن يكونَ مِن أهلِ العلمِ الَّذينَ هُم أهلُه الذينَ وردَ في الكتابِ والسُّنَّةِ مِن مدحِهِم والثَّناءِ عليهِم ما لا يتَّسعُ هذا الموضعُ لذِكره .

وفيهِ أيضاً منْ تكثيرِ العلمِ، وتوسعةِ الوصولِ إليهِ، وتنوُّعِ طُرُقِه، ما هو ظاهِرٌ؛ فإنَّ أهلَ العلمِ إذا كانَت طريقتهُم واحدَةً تمكَّنَ أن يتعلَّمَ بعضُهُم مِن بعضٍ، وأن يُعلِّمَ بعضُهُم بَعضاً .

وإذا كانَ كلُّ طائفةٍ منهم منزويَةً عن الأخرى، منحرفةً عنها، انقطعت الفائدَةُ، وحلَّ محلَّها ضدُّها، مِن حصولِ البغضاءِ والتَّعصُّبِ والتَّفتيشِ من كلٍّ منهما عن عيوبِ الطَّائفةِ الأخرى وأغلاطِها والتَّوسُّلِ به للقدحِ[1]، **وكلُّ هذا مُنافٍ للدِّينِ والعقلِ، ولما عليهِ السَّلفُ الصَّالحُ؛ حيثُ يظنُّهُ الجاهلُ منَ الدِّينِ .**

فالموفَّقُ تجِدُه :

ناصحاً للَّهِ؛ بتوحيدِه، والقيامِ بعبوديَّتهِ؛ ظاهراً وباطناً بإخلاصٍ واحتسابٍ، وتكميلاتها بحسبِ وُسعِه .

وناصحاً لكتابِ اللَّهِ بالإيمانِ بما اشتملَ عليهِ، والإقبالِ على تعلُّمِهِ وتعلُّمِ ما يتعلَّقُ بهِ ويتفرَّعُ عنهُ من علومِ الشَّريعةِ .

---

(١) فهذهِ دعوةٌ صريحةٌ من المُؤلِّف - رحمه اللَّه - إلى التآلُف والتَّحابِّ، ونَبْذِ التَّعصُّبِ والتَّحزُّبِ، وإبدال ذلك كُلِّه بالأُخوَّة الخالصة، والاعتصام الصَّادق بحبل اللَّه، والتَّعاون الشرعي على البرِّ والتَّقوى .

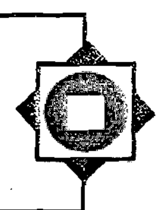
فهل من مُستجيب !؟

وناصحاً لرسولِه ﷺ؛ بالإيمانِ بكلِّ ما جاءَ بهِ منْ أصولِ الدِّينِ وفروعِه، وتقديمِ محبَّتِه على كلِّ محبَّةٍ بعدَ محبَّةِ اللَّهِ، وتحقيقِ متابعتِه في شرائعِ الدِّينِ الظَّاهِرَةِ والباطِنَةِ .

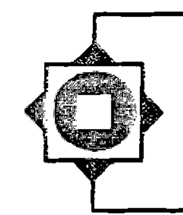
وناصحاً لأئمَّة المسلمينَ؛ منْ وُلاتِهم وعُلمائِهِم ورُؤسائِهِم في محبَّةِ الخيرِ لهُم، والسَّعيِ في إعانتِهِم عليهِ قولاً وَفعلاً، ومحبَّةِ اجتماعِ الرَّعيَّةِ على طاعتِه، وعدمِ مُخالفتِهم الضَّارَّةِ .

وناصحاً لعامَّةِ المسلمينَ؛ يُحِبُّ لهُم ما يُحِبُّ لنفسِه، ويكرَهُ لهُم ما يكرَهُ لنفسِهِ، ويسعى في إيصالِ النَّفعِ إليهِم، بكلِّ مُمكنٍ، ويُصدِّق ظاهِرُه باطنَه، وأقوالُه أفعالَهُ، ويدعو إلى هذا الأصلِ العظيمِ والصِّراطِ المستقيمِ .

فنسألُه تعالى أنْ يرزُقَنا حُبَّه وحُبَّ مَن يُحبُّه، وحُبَّ العملِ الذي يُقرِّبُنا إلى حُبِّه، ويهبَ لنا من لدُنه رحمةً إنَّهُ هوَ الوهَّابُ .



[ومن أخلاق المتعلِّمين]



حُسنُ الخُلُق :

كم في الكتابِ والسُّنَّةِ منَ النُّصوصِ الحاثَّةِ على حُسنِ الخُلُقِ، المُثنيَةِ على أصحابِه، الذَّاكرةِ ما لَهم منَ الفضائلِ والفواضِلِ؛ وذلكَ لما اشتملَ عليهِ منَ الخُلُقِ الجميلِ، وما يترتَّبُ عليهِ منَ المنافِعِ، والمصالِحِ العامَّةِ والخاصَّةِ .

فمِن أجَلِّ فوائدِه، امتثالُ أمرِ اللَّهِ وأمرِ رسولِه، والاقتداءُ بخُلُقِ النَّبيِّ ﷺ العظيمِ، وأنَّهُ في نفسِهِ عبادَةٌ عظيمَةٌ تتناولُ منْ زمانِ العبدِ وقتاً طويلاً وهو في راحةٍ ونعيمٍ مع حصولِ الأجرِ العظيمِ .

ومن فوائدِهِ أنَّهُ يُحبِّبُ صاحِبَهُ للقريبِ وَالبعيدِ، ويجعلُ العدوَّ صديقاً، والبعيدَ قريباً .

وبه يتمكَّنُ الدَّاعي إلى اللَّهِ والمُعلِّمُ للخيرِ مِنْ دعوتِه، ويجمعُ الخَلقَ إليهِ؛ بقلوبٍ راغبةٍ، وقَبولٍ واستعدادٍ؛ لوجودِ السَّببِ، وانتفاءِ المانِعِ : ﴿ فبما رحمةٍ منَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُم ولَو كُنتَ فظّاً غليظَ القلبِ لانفَضُّوا مِن حولِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وهو بنفسِهِ إحسانٌ قد يزيدُ على الإحسانِ المالِيِّ : « إنَّكُم لَن تَسَعُوا النَّاسَ بأموالِكُم، ولكن ليسَعْهم حسنُ الخُلُقِ »(١)، فمتى اجتمعَ الأمرانِ، فهو الكمالُ، ومتى فقدَ الإجمالَ المالِيَّ نابَ عنهُ حُسنُ الخُلُقِ والإحسانُ الحاليُّ والمقاليُّ، فربَّما صارَ لهُ موقعٌ أكبرُ مِنْ نفعِ المالِ .

---

(١) حديثٌ حَسَنٌ؛ يُنظر تخريجه بطرقه وشواهدِهِ في تعليقي على كتاب « الرياض الناضرة » (ص ٩٢ - ٩٣) للمصنِّف رحمه اللَّه، طبع دار المعارف - الرياض .

وبالـخُلُقِ الـحسَنِ وطمأنينةِ القلبِ وراحتِه يتمَكَّنُ مِن معرِفَةِ العلومِ التي سعى لإدراكِها، والـمعارِفِ التي يُفكِّرُ في تـحصيلها .

وبه يتمكَّنُ الـمُناظِرُ وَالـمُخاصِمُ منْ إبداءِ حُجَّتِهِ، وفهمِ حُجَّةِ صاحِبِه، ويسترشدُ بذلكَ إلى الصَّوابِ قولاً وعملاً، وكما أَنَّهُ سببٌ لـهذينِ الأمرينِ في نفسِه، فهوَ من أقوى الدَّواعي لـحصولهما لـمن خاصمهُ أو ناظرَهُ : « إنَّ اللَّهَ يُعطي على الرِّفق ما لا يُعطي على العُنفِ »[1].

---

(١) رواه الطَّبراني في « الكبير » (٢٢٧٤) عن جرير، وكذا ابنُ أبي الدُّنيا في « ذمِّ الغضب » - كما في « جمع الجوامع » (٥٤٥٩ - ترتيبه) بسندٍ فيه إسماعيل بن إبراهيم بن مُهاجر؛ وهو ضعيفٌ كما قال العراقيُّ في « تخريج الإحياء » (٣ / ١٨٥) .

وقال الهيثمي في « مجمع الزَّوائد » (٨ / ١٨) : « ورجاله رجال الصَّحيح » .

نعم؛ للحديث شواهد عن عليٍّ، وأنس، وأبي هريرة، ومَعدان، وأبي أمامة؛ ذكرها الهيثمي في « المجمع » (٨ / ١٨ - ١٩) تُقوِّي الـحديث وتُصَحِّحُه .

وبالـخُلُقِ الـحَسَنِ يَسْلمُ العبدُ منْ **مضارِّ العجلَةِ والطَّيشِ**؛ لرزانتِه، وصبرِه، ونظرِه لكلِّ ما يُمكنُ منَ الاحتمالاتِ، وتجنُّبِ ما يَخْشى ضرَره .

وبالـخُلُقِ الـحَسَنِ يتمكَّنُ منَ الوفاءِ بالـحقوقِ الواجبَةِ والـمستحبَّةِ؛ للأهلِ والأولادِ والأقارِبِ والأصحابِ والـجيرانِ والـمُعامِلينَ وسائِرِ مَنْ بينَهُ وبينَهُ مـخالطةٌ أو حقٌّ؛ فكم مِن حقوقٍ أُضيعَت من جرَّاءِ سوءِ الـخُلُقِ .

وإنَّ حُسنَ الـخُلُقِ ليدعو إلى صفَةِ الإنصافِ؛ فإنَّ صاحِبَ الـخُلُقِ الـحَسَنِ يسلَمُ غالباً منَ الانتصارِ لنفسِهِ، والتَّعصُّبِ لقولِه، لأنَّ الانتصارَ للنَّفسِ وَالتَّعصُّبَ يـحملُ على الاعتسافِ وعدمِ الأنصافِ .

وإنَّ صاحِبَ الـخُلُقِ الـحسَنِ في راحةٍ حاضرةٍ ونعيمٍ عاجلٍ، فإنَّ قلبَهُ مطمئنٌّ ونفسَهُ ساكنةٌ، وهذا مادَّةُ الرَّاحةِ العاجلَةِ، وطيبِ العيشِ .

كما أنَّ سيِّىءَ الـخُلُقِ في شقاءٍ حاضرٍ، وعذابٍ

مستمرٍّ، ونزاعٍ ظاهريٍّ وباطنيٍّ؛ مع نَفسِهِ وأولادِه وَمُخالطيهِ، يُشوِّشُ عليهِ حياتَه، ويُكدِّرُ أوقاتَهُ مع ما يترتَّبُ على ذلكَ مِن فواتِ تلكَ الآثارِ الطيِّبةِ، والتَّعرُّضِ لضدِّها .

وبهذا ونحوِه يتبيَّنُ معنى قوله ﷺ : « إنَّ العبدَ ليدرِكُ بحسنِ خُلُقِه درجَةَ الصَّائمِ القائِمِ »[1].

فإنْ قُلتَ : إذا كانَ حُسنُ الخُلُقِ لهُ هذهِ الفضائلُ والآثارُ الحسنةُ، فهل للاتِّصافِ بهِ أسبابٌ يتمَكَّنُ العبدُ من فعلِها ؟ أم هيَ مُجرَّدُ موهِبَةٍ ؟

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٩٨)، وابن حبان (١٩٢٧)، والحاكم (١ / ٦٠)، والبغوي (١٣ / ٨١) عن عائشة بسندٍ فيه انقطاع .

وله شاهدٌ - بسندٍ حسن - عند الحاكم في « المستدرك » (١ / ٦٠)، والطَّبراني في « الأوسط » (ق ١٤١ / ب) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وانظر « الدر المنثور » (٢ / ٧٥)، و « التَّرغيب والتَّرهيب » (٣ / ٤٠٤) .

قلتُ : ما مِن صَنعةٍ حميدَةٍ - ظاهِرَةٍ أو باطنةٍ - **إلَّا قد يسَّرَ اللَّهُ للعبدِ حصولَها، ونَهْجَ الطُّرقِ الموصلَةِ إليها، وأعانَ عليها بكلِّ وسيلةٍ، وكلَّما كَمُلتِ الصِّفاتُ، كَثُرتِ الطُّرُقُ المُفضِيَةُ إليها**، مع أنَّ الغرائزَ والطَّبائعَ الأصليَّةَ أعظمُ عونٍ عليها، وصاحبُها إذا سعى أدنى سعيٍ أدركَ مُرادَه .

فاعلمْ أنَّ مِن أعظمِ ما يُعينُ على هذا الخُلُقِ الجميلِ :

التَّفكُّرَ في الآثارِ السَّابقَةِ المترتِّبةِ عليهِ؛ **فإنَّ معرفةَ ثمراتِ الأشياءِ وحُسنَ عواقِبها من أكبرِ الدَّواعي إلى فعلها والسَّعي إليها**؛ وإنْ عظُمَ الأمرُ واعترضتِ الصُّعوباتُ، فإنَّ المواراةَ إذا أفضتْ إلى ضدِّها، هانَت وحلَّت .

وكلَّما تصعَّبت النَّفسُ عليهِ، ذكَّرها تلكَ الآثارَ وما تجتني بالصَّبرِ منَ الثِّمارِ، فإنَّها تلينُ وتنقادُ طائعةً، منشرحةَ

الصَّدرِ، محتسبَةً، راجيَةً حصولَ تلكَ المطالِبِ .

ومن أعظمِ الأسبابِ : علوُّ الهمَّةِ، ورغبَةُ العبدِ في مكارِمِ الأخلاقِ، وأنَّها أولى ما اكتسبَتهُ النُّفوسُ، وأجلُّ غنيمَةٍ غنمَها المُوَفَّقونَ، فبحسبِ قوَّةِ رغبتِهِ في ذلكَ يسهلُ عليهِ نيلُ هذا الخُلُقِ الجميلِ .

ومنَ الأسبابِ أنْ يتأمَّلَ : هل يجلبُ لهُ سوءُ الخُلُقِ إلَّا الأسفَ الدَّائمَ، والهمَّ الملازمَ، والآثارَ القبيحةَ، فيربأَ بنفسِهِ عن هذا الخُلُقِ الذَّميمِ .

ومنَ الأسبابِ رياضةُ النَّفسِ وتمرينُها على هذا الخُلُقِ، وتوطِينُها على كلِّ سببٍ يُدْرَكُ بِهِ هذا الخُلُقُ الفاضلُ، فَيُوَطِّنُها على معارضاتِ الأقوالِ، وأنَّهُ لا بدَّ مِن مخالفتِهم في العلومِ والإراداتِ .

ولا بُدَّ أيضاً مِن أذيَّةٍ قوليَّةٍ أو فعليَّةٍ، فلْيتوطَّن على تحمُّل الأذى، ولْيعلم أنَّ الأذى القوليَّ لا يضرُّ إلَّا مَن قالَهُ، وأنَّ منَ الحزمِ والقوَّةِ أن يكونَ

الإنسانُ بحيثُ لا يتأثَّرُ بكلامٍ يُقصدُ بهِ إحفاظهُ[1] وإغضابُه، **بل يعلمُ أنَّهُ إذا غضبَ أو تأثَّرَ، فقد أعانَ المتكلِّمَ على نفسِه .**

وإنْ لم يُبالِ بهِ، ولم يُلقِه بالَه، ولم يهتمَّ بهِ، ويكترثْ بِه، فقد قابلَ القائلَ بما يكرَهُه؛ لأنَّ جُلَّ مَقْصدِ عدوِّه إيلامُ قلبِه، وإدخالُ الهمِّ والغمِّ والخوفِ على قلبِه، فكما يسعى بدفعِ ما يريدُ إيلامَ ظاهِرِه فَلْيَسْعَ بدفعِ ما يريدُ إيلامَ باطِنِه بتركِ الاهتمامِ بِه .

وما أنفعَ - في هذا المقامِ وغيرِهِ - أن يجعلَ الإنسانُ نُصبَ عينيهِ وجُلَّ مَقصَدِه الإبقاءَ على قلبِهِ [خالياً] منَ المُشوِّشاتِ والوارداتِ المؤلمةِ، وأن يحفظَ راحةَ قلبِه بكلِّ ما يُفضي إلى الرَّاحةِ من تحصيلِ الأسبابِ المُريحةِ للقلبِ، ودَفْعِ كلِّ معارِضٍ لها؛ فإنَّ راحةَ

---

(١) قال في « القاموس المحيط » (٨٩٨) : « والحِفْظةُ والحَفيظةُ : الحميَّةُ والغضبُ، وأُحفَظَهُ : أغضبَهُ » .

القلبِ أصلُ طِيبِ العيشِ في هذهِ الدّارِ؛ فلو كانَ الإنسانُ بكُلِّ نعيمٍ، وتوفَّرت لديهِ أسبابُ الرَّاحةِ، وقلبُه في قلقٍ وحَرَجٍ، لا يخرج من همٍّ إلّا وقعَ في آخر، ولا يفرحُ بموجودٍ ومحبوبٍ إلّا وجدَ حشوَ قلبِه ما يكدِّرُه، فإنَّهُ حتى الآن لم يصلْ إلى المقصودِ الذي يسعى لهُ أهلُ العقولِ الرَّاقيَةِ، فإنَّهُم يَسْعَوْنَ أوَّلاً لراحةِ قلوبِهم وطمأنينتِها بالإنابةِ إلى اللَّهِ في مُهِمَّاتهم ومُلِمَّاتِهم وأحوالِهم كلِّها، ويُتمِّمونَ ذلكَ بالحِلمِ وحُسْنِ الخُلُقِ، وحفظِ قلوبِهم من كُلِّ مشوِّشٍ يُكدِّرُ عليهِم حياتَهم الطيِّبَةَ، ونعيمَهم العاجِلَ والآجِلَ .

فتأمَّل في بعضِ قصَصِ الأخيارِ وما هم عليهِ منَ الحياةِ الطيِّبةِ، سواءٌ كانوا في فقرٍ أو غنىً، أو شدَّةٍ أو رخاءٍ، وحيثُ تنقَّلتْ بهمُ الأحوالُ، فإنَّكَ تجدُ الواحِدَ منهُم أبسطَ النَّاسِ خُلُقاً، وأروَحَهُم نفساً، وأقرَّهم عيناً، بل تجدُ مَن هو في يسارَةٍ منهم وفقرٍ راضياً قانعاً غيرَ مُتسخِّطٍ

على اللَّهِ وعلى الخَلْقِ[1]، وذلكَ فضلُ اللَّهِ يؤتيهِ مَن يشاءُ، واللَّهُ ذو الفضلِ العظيمِ .

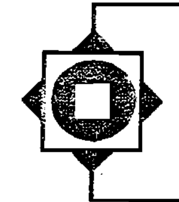


---

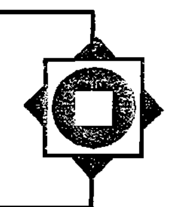
(١) وأمَّا عُبَّادُ الدُّنيا، والرَّاضخونَ لِزُخرُفِها؛ فإنَّهم لايُبالونَ كيفَ يجمعونَ الأموالَ ! بحرامٍ أو بحلالٍ !!

لا يُبالونَ بباطلٍ منَ القولِ وزُورٍ يُلقونَه في عبادِ اللَّهِ الصَّالحينَ الغافلينَ، رِفعَةً لأنفسِهم ! ونشراً لباطلهم ! وترويجاً (لبضاعتهم) وإرضاءً لأهوائهم !!

ولكنْ : إنَّ ربَّك بهم عليم، وهو - سبحانه - لهم بالمِرصاد .



[ومن أخلاقِ المُتعلِّمين]



الرَّجاءُ :

لا ريبَ أنَّ الشَارع مدحَ الرَّجاءَ الذي هوَ الرَّجاءُ، وأمرَ بِه وبكلِّ وسيلةٍ تُوصِلُ إليهِ، وذمَّ اليَأسَ ونهى عنهُ، وأخبرَ أنَّهُ من مُوبقاتِ الذُّنوبِ؛ وذلكَ لما يترتَّبُ على الرَّجاءِ منَ المُصالِحِ والثَّمراتِ النَّافعةِ، وما ينشأُ عنه منَ الأسبابِ الموصلةِ للمقاصِدِ الجليلَةِ، وما يترتَّبُ على اليَأسِ من ضدِّ ذلك .

مثالُ ذلكَ أنَّ الرَّاجي لرحمةِ اللَّهِ ومغفرتِه - بحسبِ قوَّةِ رجائِه - يسعى بكلِّ طريقٍ يُوصلُ إلى الرَّحمةِ والمغفرَةِ اللَّتينِ تعلَّقَ بهما رجاؤه، بل لا يكونُ الرَّجاءُ

حقيقيًّا حتى يقومَ بالأعمالِ الموصلةِ إلى الرَّحمة والمغفرةِ :

قال تعالى : ﴿ إنَّ الذينَ آمنوا وهاجروا وجاهَدوا في سبيلِ اللَّهِ أولئكَ يرجونَ رحمةَ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢١٨]؛ فخصَّ هؤلاء برجاء رحمةِ اللَّهِ لِمَا حصَلَ منهم منَ السَّببِ الأقومِ الذي تُنالُ بهِ الرَّحمةُ .

وقال تعالى : ﴿ وسارِعوا إلى مغفرةٍ مِن رَبِّكُم وجنَّةٍ عرضُها السَّماواتُ والأرضُ أُعِدَّت للمُتَّقِينَ * الذينَ يُنفِقونَ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ والكاظمينَ الغيظَ ... ﴾ [آل عمران : ١٣٣] إلى آخر الآيةِ التي فيها ذكرُ الأسبابِ المُوصلةِ إلى ذلكَ، المحقِّقةِ لهُ .

فقوَّةُ الرَّجاءِ تحملُ العبدَ على كلِّ عملٍ صالحٍ، فإذا عَمِلَهُ على الوجهِ المَرْضيّ، قَوِيَ رجاؤُه، فلم يزل في ازديادٍ منَ الأعمالِ، ورغبَةٍ فيما يُقرِّبُ إلى اللَّه تعالى ورضوانِه وثوابِه، وكلَّما ضعُفَ رجاؤُه كسلَ عن الخيراتِ، وتجرَّأَ على السَّيئاتِ، ودَعتهُ نفسُهُ الأمَّارَةُ

بالسُّوءِ إلى كلِّ سوءٍ، فانقادَ لـها؛ لأَنَّهُ ليسَ عندَهُ من رجاءِ رحمةِ اللَّهِ ومغفرَتِه ما يكسرُ سَوْرَتَها[1] ويقمَعُ شرَّها، ثمَّ لا يزالُ الرَّجاءُ يضعُفُ في قلبِه، واليأسُ يقوى، فيضعُفُ إيمانُه، وتضعُف دواعيهِ إلى الخيرِ، كما تقوى دواعيه إلى الشرِّ، فيقعُ في اليأسِ المَحْضِ من رَوحِ اللَّهِ، فلا يزالُ مُكِبَّاً على الذُّنوبِ، مُصِرَّاً على المعاصي، لا يُحدِّثُ نفسَهُ بتوبَةٍ، ولا يرجعُ إلى ربِّه؛ لاستيلاءِ اليَأسِ عليهِ، وضعفِ الرَّجاءِ .

وهذا هوَ الهلاكُ المُبينُ، ومع أَنَّهُ هلاكٌ يُرجى - إنْ سعى في علاجِهِ - أن يزولَ وتعودَ الصِّحَّةُ، وذلكَ بأن يتأَمَّلَ ويتفَكَّرَ في الأسبابِ التي أوصلتهُ إلى هذه الحالِ، وأَنَّها أسبابٌ قابلةٌ للزَّوالِ، إذا مرَّنَ نفسَهُ على إضعافِ اليَأس - الذي ترامى بِهِ إلى الهلاكِ - وتقويَةِ الرَّجاءِ الحامِلِ لهُ على التَّوبَةِ والإنابَةِ؛ لأَنَّهُ إذا علمَ أَنَّهُ غفَّارٌ لمن

(١) شِدَّتها .

تابَ وآمنَ وعملَ صالحاً ثمَّ اهتدى - ولو بلغت الحالُ ما بلغت - طمعَ في مغفرَةِ رَبِّهِ، واستعانَ بهِ على التَّوبةِ - التي هيَ الإقلاعُ عن المعاصي، والنَّدمُ على ما مضى منها، والتَّصميمُ على أن لا يعودَ[1] -، وحصَّلَ منْ علومِ الإيمانِ وأعمالِه ما يُقوِّي عزيمتَه، ويوقظُ هِمَّتَه، خصوصاً الإيمانُ الخاصُّ في هذا المقامِ، وهو توحيدُه وعلمُه أَنَّهُ لا يغفِرُ الذُّنوبَ إلَّا اللَّهُ، وأنَّ العبدَ إذا تابَ توبَةً نصوحاً، فإنَّ اللَّهَ يغفرُ لهُ ويتقبَّلُ منه، فلا يزالُ إيمانُه يُمِدُّ توبتَه، وتوبتَهُ تُمِدُّ إيمانَه، ويعملُ منَ الأعمالِ الصَّالحةِ ما يُتِمُّ بِه الإيمانَ والتَّوبَةَ، ويسلُكُ الصِّراطَ المستقيمَ في علمِه وعملِه حتى يضمحلَّ يأسُه، ويقوى رجاؤه، ويسيرَ إلى ربِّه سيراً جميلاً .

فهذا كلامٌ عامٌّ في أمورِ الدِّينِ كلِّها؛ العِلْميَّةِ والعَمَليَّةِ .

ومِن مفرداتِ هذا :

---

(١) هذه هيَ الشُّروطُ الأساسيَّة للتَّوبة النَّصوح .

طالبُ العلمِ إذا اشتغلَ بفنٍّ منْ فنونِه، فبعدَ اشتغالِه بِهِ رأى مِن صعوبَتِه وبُطءِ فَهمِهِ لمسائِلِه ما أوجَبَ لهُ اليَأسَ من تحصيلِه، فإنَّهُ يملكهُ اليأسُ ويدعوه إلى تركِه، وكلَّما خطَرَ ببالِه الاشتغالُ بِهِ أو ذَكَرَ لهذا الأمرِ، فإذا اليأسُ مِنْ إدراكِه ماثلٌ بينَ عينيهِ كأنَّهُ حَجَرٌ عظيمٌ في طريقِه؛ فإنْ هوَ أخلدَ إلى هذهِ، واسترسلَ معها قتلَهُ اليأسُ، ورأى هذا المطلوبَ منَ المستحيلاتِ عليهِ، وإنْ كانَ مُوفَّقاً ينظُرُ إلى حقائقِ الأشياءِ على ما هيَ عليهِ، ولم يملِكهُ الخيالُ الضَّارُّ، علمَ أنَّ الآدميَّ قابلٌ لتعلُّمِ كلِّ علمٍ، مهيَّأٌ لذلكَ، وأنَّ مجرَّدَ اشتغالِه بالعلومِ النَّافعةِ - ولو لم يُحَصِّلْ منها ويَستَفِدْ شيئاً يُذكَرُ - مصلحةٌ وعبادةٌ؛ لأنَّهُ تصحبُه النيَّةُ الصَّالحةُ.

وإنْ لم يشتغل بِهِ إلَّا لنفعِ نفسِه ونفعِ غيرِه، فلا يزالُ ساعياً في هذا الأمرِ، وإذا لم يَحْصُلْ له مرادُه أو بعضُه في وقتٍ، حدَّثَ نَفسَهُ أنَّهُ سَيُحَصِّلُه في وقتٍ آخَر إذا استمرَّ

على السَّعيِ والاجتهادِ، فيقوى حينئذٍ رجاؤه، وينشطُ في المسيرِ في طلبِه، وينفُضُ عنهُ غُبارَ اليَّأسِ حتى يرتقيَ إلى درجتِه اللَّائقةِ به .

وكما أنَّ الإنسانَ يُطبِّقُ هذا المعنى على نفسِه فَلْيَسْتَعْمِلْهُ في غيرِه، إذا أرادَ هِدايةَ أحدٍ، أو دَعوتَه إلى الإسلامِ، أو أصْلٍ من أُصولِه، أو فرعٍ من فروعِه،أو تعليمِه لعلمٍ نافعٍ، ثمَّ رأى منَ المَدعوِّ نفوراً وإعراضاً، أو بلادَةً وقلَّة فطنَةٍ؛ فإنْ أخَذَهُ الملَلُ واليأسُ منْ إدراكِ المقصودِ منهُ، وعَدِمَ رجاءَ انتفاعِه، لم يلبث إلَّا قليلاً حتى يدعَ دعوتَه وتعليمَه، فَيفُوتَ بذلكَ خيرٌ كثيرٌ .

وإنْ هوَ سلكَ مسلكَ نبيِّهِ ﷺ في دعوتِه وهدايَة الخَلْقِ، وعَلِمَ أنَّهُ **مكثَ مدَّةً طويلَةً** يدعو النَّاسَ إلى الإسلامِ والتَّوحيدِ، فلا يلقى آذاناً سامعةً، ولا قلباً مُجيباً، فلم يضعُف ولم يَلِنْ، بل لم يزل قويَّ الرَّجاءِ، عالماً أنَّ اللَّهَ سَيُتِمُّ أمرَهُ ماضياً على دعوتِه، حتى فتحَ اللَّهُ بهِ أعيُناً

عُمياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلفاً، وبلغت دعوتُه وهدايتُه ما بلغَ اللَّيلُ والنَّهارُ .

فإذا جعلَ هذا بينَ عينيهِ، لم يشتدَّ عليهِ أمرٌ منَ الأمورِ، ولو لم يحصلْ لهُ إلَّا أنَّ مجرَّدَ دعوتِه إلى اللَّهِ مِن أكبرِ الحسنَاتِ لكفى الموفَّقَ داعياً إلى الصَّبرِ والرَّجاءِ .

وكم من أمرٍ مَأْيوسٍ منهُ، انتقَلَ مِن طيِّ العدمِ إلى الوجودِ بالصَّبرِ والمُزاوَلَةِ، فلا يزالُ راجياً طامِعاً في إدراكِ مقصودِه أو بعضِه، ساعياً السَّعيَ اللَّائقَ به حتى يرى مِن آثارِ سعيِه خيراً كثيراً .

وكما أنَّ هذا المعنى ثابِتٌ في دقيقِ الأمورِ وجليلِها، فخيرُ ما استُعمِلَ هذا الأصلُ المهمُّ في أحوالِ المسلمينَ **اليومَ**؛ حيثُ كانوا مِن زمانٍ طويلٍ والتَّفرُّقُ سارٍ فيهِم، والعداوَةُ قائمةٌ بينَهُم، وكثيرٌ من مُصلِحاتِ دينِهم متروكَةٌ؛ حتى تفكَّكتْ قواهُم، وضعُفَ أمرُهم، وتملَّكَهُم

اليأسُ والقنوطُ، خصوصاً إذا نظروا إلى أعدائِهِم الحقيقيينَ وقد بلغوا منَ القوَّةِ مبلغاً هائلاً؛ فحينئذٍ يستولي عليهمُ الكسَلُ واليأسُ، ويتوهَّمونَ أنَّهُ كالمُحالِ وجودُ قُوَّةٍ كافيَةٍ تدفعُ عنهم عاديَةَ الأعداءِ، فضلاً عن أن يكونوا في صفوفِ الأُممِ القويَّةِ، ومن حدَّثَ نفسَهُ بهذا أو غيرِه، فقد حدَّثها بالمُحالِ(١) !

فاستولى عليهمُ الذلُّ، وتوهَّمت نفوسُهم أنَّهُم طُعمَةٌ لكلِّ أحدٍّ، وهذا ناشىءٌ من ضعفِ الإيمانِ، واستيلاءِ اليأسِ، وضعفِ الرَّجاء .

---

(١) وهذا نابعٌ من ارتباط النُّفوس بالمادِّيات، وتعلُّقها بالشُّؤون الدُّنيويَّات .

ولو عُكِسَ الأمرُ .. لكانَ الخيرُ .. بمعنى أنَّ ربطَ النَّاسِ بالدِّين، وتعظيم الإيمان في قلوبهم، وتثبيت نفوسِهم على العقائد الحقَّة، وتعليمَهم العلمَ النَّافع : هو المنقذ الوحيدُ لهم، وهو السَّببُ الموصلُ لنصرة الله إليهم .

وانظر - لزيادة بيان - رسالتي : « فقه الواقع بينَ النَّظريَّة والتَّطبيق » (ص ٨٠ - ٩٤) .

فلو أنَّهم جعلوا الرَّجاءَ لرحمةِ اللَّهِ، ونصرِه، وإعزازِ دينِه، نُصبَ أعيُنِهِم، وعلموا أنَّ من يَنصُرِ اللَّهَ ينصُرْه، ويثبِّتْ قدَمَه، فَسَعَوا بما يُمكِنُ تلافيهِ منْ أمرِهِم، وجمعوا كلمتَهُم، وجعلوا وحدَةَ دينهم وحفظَه منْ كلِّ عادٍ هو الجامعةَ[1] التي تربطُ أقصاهُم وأدناهُم، وتركوا لهذا كلَّ ما عارضَهُ منَ الأغراضِ الفاسدَةِ، والأهويَةِ الضَّارَّةِ، وقاموا في هذا الأمرِ قياماً حقيقيّاً، ولم يمنعهم ما يعترضُ لهم منَ العقُوباتِ والتَّهويلاتِ، لكانَ أوَّلَ فائدَةٍ يجنونَها الأمنُ على **دينِهم الذي لولاهُ لم يسعدوا دنيا ولا أُخرى**، وسلامتُهم منَ الضَّرباتِ المُعَدَّةِ لهُ ولهم المُوَجَّهةُ إليهِم، ولأمكنَهُم أن يعيشوا بأنفُسِهِم - ومع الأمم - بطمأنينةٍ وحفظٍ للمصالح الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ من غيرِ أن يَضْرِبوا بسلاحٍ، ولا يُشوِّشوا على أحدٍ؛ لأنَّ كلَّ مُنصفٍ يعذرهم

---

(١) وليس القوميَّة، أو الإقليميَّة، فضلاً عن العلمانيَّة أو الدِّيمقراطيَّة !!

حيثُ سَعَوا لحفظِ كيانِهم ودفعِ الظُّلمِ عنهم بكلِّ طريقٍ، وهو حقٌّ يُدلي بهِ القويُّ والضَّعيفُ، ثمَّ يَسْعونَ في الاستعدادِ الكافي لمقاوَمةِ المعتدينَ .

فلو جعلَ الرُّؤساءُ[1] هذا الأمرَ الواجبَ قِبلةَ قلوبِهم وجُلَّ مقصَدِهِم، وحصَلَ البحثُ التَّامُّ في كيفيَّةِ الوصولِ إلى هذا المقصدِ، ومِن أيِّ طريقٍ يَنْفُذُ، ورَجَوْا عواقِبَهُ الحميدَةَ، لرأوا مِن آثارِهِ خيراً كثيراً .

فنرجو اللَّهَ أن يُوفِّقَ جميعَ المسلمينَ في أقطارِ الأرضِ كلِّها للقيامِ بدينِهم حقَّ القيامِ، وأن يكونوا يداً واحدَةً على مَن ناوَأهُم واعتدى عليهِم، وأن يُيَسِّرَ لهُم الأسبابَ النَّافعةَ، ويُزيلَ عن قلوبِهم [الهَمَّ] الذي استولى على أكثرِهم .

فلو نظروا بأعيُنِهِم لبعضِ الأُمَمِ الصَّغيرَةِ التي عملَت

---

(١) هذه دعوةٌ من الأعماقِ لكلِّ مَن وَلِّيَ من أمرِ المسلمينَ شيئاً، فهل مِن مُستجيب !؟

لوحدَة مصالحها الخاصَّة كيفَ عاشَت معَ الأُمَمِ القويَّةِ حتى سادَتهُم في حفظِ الحقوقِ والنِّظامِ والمصالحِ، خُصوصاً في هذا الوقتِ العصيبِ الذي وقعَ فيهِ التَّفاني بينَ أكبرِ قُوَّةٍ في العالمِ(١) مع نظيراتِها، وكلُّ واحدةٍ منهما تُبدىءُ وتعيدُ أنَّها سَتُخْرِجُ العالَمَ منَ الظُّلمِ والاعتداءِ، وتجعلُ لهم **نظاماً جديداً**(٢) منَ العدلِ يحفظُ جميعَ

---

(١) لعلَّ المصنِّف رحمه اللَّه يقصِد الحرب العالميَّة بين ألمانيا والحُلَفاء !

ثمَّ تلاشت ألمانيا وزالتْ !

وبالأمسِ : كان هناك قوَّتانِ : روسيا وأمريكا .. فانهارت روسيا أيضاً !!

وغداً : ستذوب أمريكا أيضاً !!! **ولن يبقى إلَّا الإسلام** .

هكذا وَعَدَ اللَّه سبحانه .

وإنَّ غداً لِناظِرِهِ قريبٌ ..

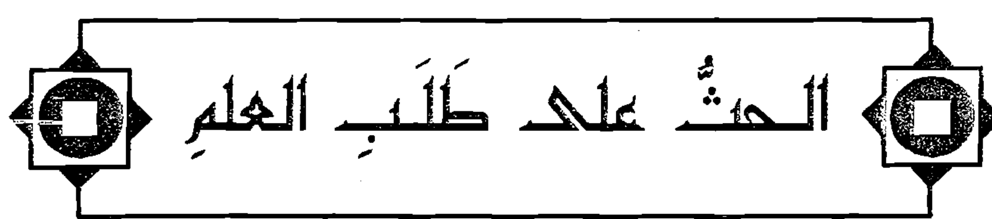
﴿ ولَن يُخلِفَ اللَّهُ وَعدَهُ ﴾ .

(٢) وهو ما تُدندن به أمريكا اليوم، وتملأُ به وسائلَ الإعلامِ غربيَّها وشرقيَّها .

وهو نظام (عالمي) - زعموا - قائمٌ على القهر والتَّسلُّط والجبرِ والدِّكتاتوريَّة الملفوفة !! **فَهَل مِن مُدَّكر** !!

الأُمَـمِ؛ فلا علينا أن يكونَ هذا الكلامُ منهُم حقيقةً، وإنَّما هوَ دعايَةٌ، فالـمسلمونَ أحقُّ النَّاسِ كلِّهم للتَّنبيهِ لـهذا الأمرِ، وفيهِم منَ الكثرَةِ والقوَّةِ الـمستعدَّةِ ما يؤهِّلُـهم إلى أعلى الـمقاماتِ منَ الإيمـانِ والعونِ الإلـهيِّ وقوَّةِ الرَّجاءِ، وما في دينِهِم منَ الدَّعوةِ إلى كلِّ إصلاحٍ ونَبذِ كلِّ ضارٍّ.

□ □ □ □ □



نَظْمُ معنى الحديث الذي في « الصَّحيحينِ »[1]؛ قولُه ﷺ : « مَثَلي ومَثَلُ ما بعثني اللَّهُ بهِ كَمَثَلِ غيثٍ أصابَ أرضاً ... »[2] إلى آخر الحديث .

---

(١) رواه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

ورواه أحمد - وابنه عبدالله - (٤ / ٣٩٩)، والنَّسائي في « الكبرى » - كما في « تحفة الأشراف » (٦ / ٤٣٩) - والبغوي (١٣٥)، وابن حبان (٤)، وأبو يعلى (٧٣١١)، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » (١ / ٤٨ - ٤٩) وغيرهم .

(تنبيهٌ) : فاتَ هذا الحديث الدكتور عامر صبري في جمعه « زوائد عبدالله بن أحمد على مسند أبيه » ! فَليُستَدرَك عليه .

(٢) وتتمَّته : « ... فكانت طائفةٌ طيِّبَةٌ قَبِلَت ذلك، فأنبتت الكَلأ والعُشب الكثير، وأمسكت الماء، فنفع اللَّه بها النَّاس؛ فشربوا =

قال رحمه اللّه :

قَد طالَ شوقي إلى الأحبابِ والفِكَرِ
وَقَد عَراني لِذاكَ الهَمُّ وَالسَّهَرُ

وكم يَجيشُ الهوى قلبي فَيَترُكَني
لا أستفيقُ لما آتي وما أَذَرُ

وكم نصيحٍ أتى يوماً لِيَعْذِلَني
فصارَ يَعذُرُني فيهم وَيَعتَذِرُ

يا لائمي في الهوى صعباً أضرَّ بِهِ
طولُ البِعادِ عن الأحبابِ مُذْ هَجَروا

فباتَ يَرعى الدَّراري مِن تشوُّقِه
قد باتَ منهُ الحَشا والقلبُ ينفَطِرُ

= منها، وسَقَوْا وزرعوا، وأصابَ منها طائفةً أخرى؛ إنَّما هي قيعان، لا تُمسك ماءً، ولا تُنبِتُ كلأً، فذلك مثل مَن فَقُهَ في دينِ اللَّهِ وَنَفعَهُ ما بعثني اللَّه به، فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هُدى اللَّه الذي أُرسِلْتُ به » .

لو كنتَ تدري الـهوى أو قد بُليتَ به
وذُقـتَ آلامَـهُ كـالنَّـارِ تـستَعِـرُ
لَـمَـا نَـطقتَ ولـم ينـطِـق بلائمـةٍ
لـومُ الـمُحِبِّينَ ذَنـبٌ ليسَ يُغتَفَـرُ
دَع عَنكَ ذِكرَ الهوى والمُولَعينَ بِه
وانهـض إلى مـنزلٍ عالٍ بهِ الـدُّرَرُ
تـسلـو بمرئِيه عـن كُلِّ غـاليَـةٍ
وعـن نـعيـمٍ لدنيـا صَفْوُهُ كَـدَرُ
وعـن نـديـمٍ بهِ يلـهـو مُـجالِسُهُ
وعـن رياضٍ كساه الـنُّورُ والـزَّهَـرُ
اِنهَض إلى العلمِ في جدٍّ بلا كسَلٍ
نهوضَ عبدٍ إلى الخيراتِ يـبـتَـدِرُ
واصبِر على نَيلِه صبرَ المُجدِّ له
فـليسَ يُدركُه مَن ليسَ يصطَبِـرُ
فكـم نصـوصٍ أتَت تُثني وتمدحُه
للطَّـالبيـنَ بهـا معنـىً ومُعتَبـرُ

أمَا نـفـى اللَّـهُ بيـنَ العـالَـمـيـن بـه
والـجـاهـلـيـنَ مُـسـاواةً إذا ذُكـروا
وقـالَ لـلـمـصـطـفـى معْ ما حَبَاهُ به
ازدَدْ مـنَ الـعِـلـمِ في عـلـم به بَصرُ
وخَـصَّـصَ اللَّـهُ أهـلَ الـعلـمِ يُشـهِدُهم
على العبادَةِ والـتَّـوحيـدِ فـاعـتَبِرُوا
وذمُّ خـالـقِـنـا لـلـجـاهـلـيـنَ بـه
في ضِمنهِ مدحُ أهلِ العلمِ مُنحصِرُ
وفي الحديثِ إن يُرِد رَبُّ الوَرى كَرَماً
بعبدِهِ الـخَيْرَ والمخلوقَ مُفتقِرُ
أعطـاهُ فقهـاً بـدينِ اللَّهِ يـحملُـه
يا حـبَّـذا نِعَمـاً تـأتـي وتـنـتـظـرُ
أمَـا سـمعـتَ مـثالاً يُستَضَاءُ بِـه
وَيستَفـزُّ ذوي الألبـابِ إن نَـظَـروا
بأنَّ عـلمَ الـهدى كـالغيـثِ تُنزِلُه
على القلوبِ فمنها الصَّفوُ والكَدرُ

أمَّا الرياضُ التي طابَت فقد حَسُنت

منها الرُّبى بنباتٍ كلُّه نَضِرُ

فأصبحَ الخَلْقُ والأنعامُ راتعةً

بكلِّ زوجٍ بهيجٍ ليسَ ينحصِرُ

وبعضُها سَبِخٌ ليسَتْ بقابلةٍ

إنباتَ عُشبٍ بهِ نفعٌ ولا ضَرَرُ

يكفيكَ بالعلمِ فضلاً أنَّ صاحِبَهُ

بالعزِّ نالَ العُلا والخيرَ ينتظرُ

يكفيكَ بالجهلِ قُبحاً أنَّ صاحبَهُ

ينفيهِ عن نَفسِهِ والعلمُ يبتكرُ

يكفيكَ بالجهلِ قُبحاً أنَّ مُؤثِرَهُ

قد آثَرَ المطلبَ الأدنى ويفتخرُ

أيُّ المفاخرِ ترضى أن تُزانَ بها

أجهلُكَ النَّفسَ جهلاً ما لَهُ قدرُ

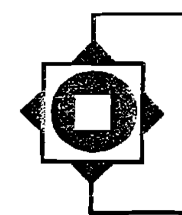
أمْ بالجهالَةِ منكَ في شريعتِه

كيفَ الصَّلاةُ وكيفَ الصَّومُ والطُّهُرُ

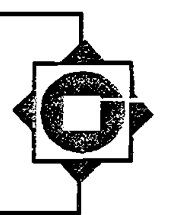
أمْ كيفَ تعقدُ عَقْداً ناغذاً أبـــداً
كيفَ الطَّلاقُ وكيفَ العتقُ يا غُدَرُ
أمِ افتخارُكَ بالجهلِ البسيطِ نعمْ
وبالمُرَكَّبِ لا تُبقي ولا تَذَرُ
تَبّاً لعقلٍ رزينٍ قد أحاطَ بـه
مع الجهالَةِ دينُ الذَّنبِ والغَرَرُ
كم بينَ مَن هوَ كسلانٌ أخو مَلَلٍ
فما لَهُ عن ضياعِ الوقتِ مُزدجَرُ
قد استلانَ فراشَ العجزِ مُرتفِقاً
حتى أتى المُضْعِفَاتُ الشَّيبُ والكِبَرُ
وبينَ مَن هوَ ذو شوقٍ أخو كَلَفٍ
على العلومِ فلا يَبدو لهُ الضَّجَرُ
يرعى التَّقيَّ ويرعى مِن تحفُّظهِ
أوقاتَه مِن ضياعٍ كلُّه ضَرَرُ
لا يستريحُ ولا يلوي أعِنَّتَهُ
عن الوصولِ إلى مطلوبهِ وَطَرُ

يُـلفيهِ طـوراً على كُتْبٍ يُطالِـعُها
يحلو لهُ مِن جَنَاها ما حوى الفِكَرُ
تُلـهيـهِ عـن روضـةٍ غـنَّـاءَ مُـزهِـرَةٍ
أطـيـارُهـا غـرَّدَتْ والـمـاءُ منهـمـرُ
وبـاحثـاً تـارَةً مـع كـلِّ مُـنْتَـسِـبٍ
يبـغـي الرَّشـادَ فلا يطغى ويحتـقرُ
وَاهَـاً لـه رجـلاً فـرداً مـحـاسنُـه
بالحزمِ والعزمِ هانَ الصَّعبُ والعُسُرُ





[تذكرةُ غافلٍ]



قد كانَ بعضُ أصحابِ الشَّيخِ المصنِّف مَعَه فُتورٌ عن الاجتهادِ في طلَبِ العلمِ، فكتبَ إليه بهذهِ الأبياتِ :

سلامُ اللَّهِ يتبعُهُ سلامُ
على مَن في الضَّميرِ له مَقامُ
على الحِبِّ المُكَرَّمِ مَن ترقَّى
إلى أعلى مكارِمَ لا تُرامُ
وفاقَ الطَّالبينَ ذَكاً وحِرصاً
وآداباً ومعرفَةً تُسامُ
وفارَقَ للقواطِعِ باشتياقٍ
وَمَن طَلَب المكارمَ ما يُلامُ

وخـلّا كُـلَّ مشتـغـلٍ يُنــادي

ألا ليْتـي[1] بـمـنـزلــهِ أقـامُــوا

فَبَـعْـدَ الدَّأْبِ ترضى أنِ تُساوي

لأربـابِ الـبـطــالــةِ أو تـنـــامُ

وبعد صُعودِكَ الـدَّرَجَ العوالي

تُـجاذِبُ لـلـنُّـزُولِ فـذا سَـقـامُ

فـمـا ألـهـاكَ عـن عـلـمٍ تَسامى

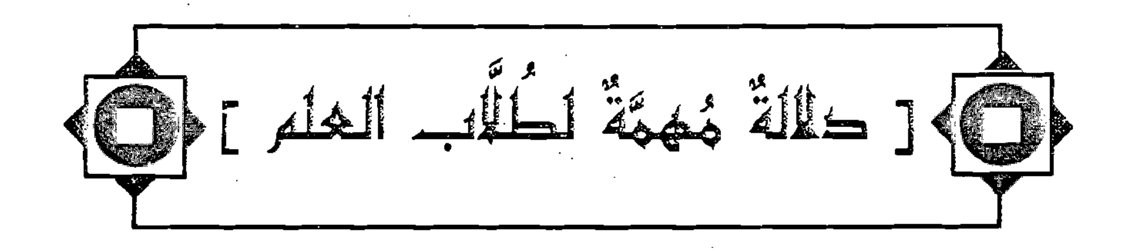
وَعَــزَّ عـلـيـكَ يـا هـذا الـعِـظـامُ

أم اَلـهـاكَ اقـتـداؤُكَ بـالـكُـسـالـى

فـضـاعَ الـوقـتُ وانْـفَـرَط الـنِّـظـامُ

---

(١) قال في « الصِّحاح » (ص ٦١٠ - مختاره) :
« ويُقال : لَيْتي، ولَيْتَني، كما قالوا : لَعَلِّي، ولَعَلَّني، وإنِّي وإنَّني » .



في مدحِ شيخيِ الإسلامِ ابنِ تيمية وابن القيم :

يا طالباً لعلومِ الشَّرعِ مجتهداً
يبغي انكشافَ الحقِّ والعرفانِ
اِحرص على كُتُبِ الإمامينِ اللَّذيـ
ـن هما المحكُّ لهذه الأزمانِ
العالِمَيْنِ العامِلَيْنِ الحافِظَيْنِ
المُعرِضَيْنِ عن الحُطامِ الفاني
عاشا زماناً داعيَيْنِ إلى الهدى
من زائغٍ ومقلِّدٍ حيرانِ
صَبَرا النُّفوسَ على جهاد عدوِّها
للقلبِ والأقوالِ والأركانِ

كـم نالـهـم مِن نَكْبَـةٍ وأذِيَّـةٍ

هانـت لذاتِ الخالقِ الـدَّيَّـانِ

نَشَرَ الإلهُ لهم ثناءاً صـادقـاً

إذ أحسنوا في العلمِ والإيمانِ

فقلوبُ أهلِ الخيرِ من حُبٍّ لهم

قد أُشرِبت وثناؤهم بلسانِ

أَعني بِه شيخَ الورى وإمامَهم

يُعزَى إلى تيميَّةَ الحَرَّانِ

والآخرَ المدعوَّ بابن القيِّمِ

بحرَ العلومِ العالمَ الرَّباني

فهما اللَّذانِ قَد اَودَعا في كُتْبِهم

غُررَ العلومِ كثيرَةَ الألوانِ

فيها الفوائدُ والمسائلُ جُمِّعت

من كلِّ فاكهةٍ بها زوجانِ

إن رُمتَ معرفَةَ الإله وما لَهُ

مِن وصفِهِ وكمالِه الرَّباني

أو رُمتَ تفسيرَ الكتابِ وما حوى
من كثرةِ الأسرارِ والتِّبيانِ
أو رُمتَ معرفَةَ الرَّسولِ حقيقةً
وجلالَةَ المبعوثِ بالفرقانِ
أو رُمتَ فقدَ الدِّينِ مرتبطاً به
أصلُ الدَّليلِ أدلَّةُ الإتقانِ
أو رُمتَ معرفَةَ القصائد كلِّها
للمبطلينَ وردَّها ببيانِ
أو رُمتَ معرفَةَ الفنونِ جميعِها
مِنْ نَحْوِها والطبِّ للأبدانِ
تَلْقَ الجميعَ مُقرَّراً ومُوضَّحاً
قد بيَّنَاها أحسنَ التِّبيانِ
جَمَعَتْ على حُسن العبارَةِ رونقاً
وبهاءَ معنىً جلَّ ذو الإتقانِ
تدعو القلوبَ إلى محبَّةِ رَبِّها
والذِّكرِ للرَّحمنِ كلَّ أوانِ

يَدري بهـذا مَن لهُ نـوعُ اعتنا

في كُتْبِهِم مع صحَّةِ العِرفانِ

فاحمدْ إلهَ الخلقِ إن كنتَ امْرَءاً

تشتاقُها وتحبُّها بجنانِ

واحمدْ إلهَ الخلقِ أيضاً ثانياً

في نشرها في هذه الأزمانِ

حتى غدَت بينَ العِبادِ كثيرَةً

مشهورَةً في سائِرِ البلدانِ

فعسى الذي بعثَ القُرومَ لنشرها

أن يبعثَ العَزَمَاتِ بعدَ توانِ

حتى تكونَ إلى العلومِ سريعةً

مُشتاقةً للعلمِ والعِرفانِ

ويزيلَ عَن هذي القلوبِ موانعاً

عاقت وصولَ العلمِ والإيقانِ

ويلُمَّ هذا الدِّينَ بعدَ تشعُّثٍ

قد كادَ أن ينهدَّ للأركانِ

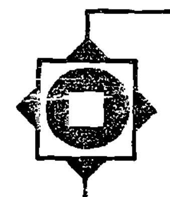
ويُفَتِّحَ الأبوابَ بعدَ مُضيِّها
دهراً على التغليقِ والأدرانِ
ويُؤَلِّفَ الرحمنُ بعدَ تفرُّقٍ
أرواحَ أهلِ العلمِ والإيمانِ
بجلالِهِ وجمالِه مُتوسِّلاً
يا دائمَ المعروفِ والإحسانِ
وعلى الرَّسولِ مُصلِّياً ومُسلِّماً
والصَّحب والأتباعِ بالإحسانِ

[تمَّ الكتاب بحمد الملك الوهَّاب][1]

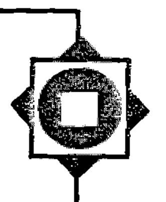
---

(١) وبه تمَّ ضبطه، والتَّعليق عليه، وتخريج أحاديثه، صبيحة يوم الأحد لثمان بقين من ربيع الثَّاني سنة ثلاث عشرة وأربع مئة وألف، فللَّه الحمدُ مِن قبلُ ومِن بَعدُ .

وكتب :
أبو الحارث الأثري
عفا اللَّه عنه بمنِّه

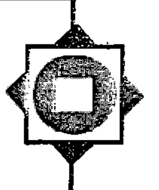


فهرس الفوائد

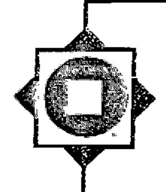


تعريف أنواع الدَّلالات ٨
نُبذة عن منهج التَّأليف عند المصنِّف ٩
إشارة إلى ما يُسمَّى بـ « الحجج العقليَّة » ١٤
مِن أحوالِ الطَّوائف المنحرفة ١٧
تنبيهٌ حولَ مسألة التَّحسين والتَّقبيح العقليَّين ٢٤
تخريج حديث « ليس الخبر كالمُعاينة » ٢٥
فضل قَبول الحق ٣١
تخريج حديث « مَن صنَعَ إليكم معروفاً ... » ٣٢
بينَ الاحتياط والوسوسة ٣٦
دقيقةٌ فقهيَّة نفيسة ٣٦
مِن قواعد العلم الأساسيَّة ٤١

معنى قولهم : « ضِيقُ العَطَن » ٤٣
مِن فوائد التَّوقُّف عمَّا لا يعلم ٥٠
الحذر الحذر من التَّعصُّب ٥١
نصيحةٌ للعُلماء والدُّعاة ٥٢
التَّحذير من الاشتغال بالنَّاس .. إلَّا ٥٥
الاختلاف؛ مأذونٌ وممنوعٌ ! ٥٧
تخريج حديث « إنَّ اللَّه يُعطي على الرِّفق
ما لا يُعطي على العُنف » ٦٣
تخريج حديث « إنَّ العبد ليُدرك بحُسن خُلُقه
درجة الصَّائم القائم » ٦٥
حال عُبَّاد الدُّنيا ٧٠
الأصلُ ربطُ النَّاسِ بالدِّين .. لا بالمادَّة ٧٨
ألمانيا .. روسيا .. أمريكا .. ولن يبقى إلَّا الإسلام ... ٨١
استدراكٌ على جامع « زوائد عبداللَّه .. » ٨٣
جواز قول : « ليتني » و ليتي » ٩١



الفهرسُ الإجماليُّ



مقدِّمة التَّحقيق ٥
مقدِّمة المصنِّف ٧
في طُرُق العلم وأقواها ١١
في آداب العالم والمتعلِّم ٢٨
فائدة السُّؤال لمن يوجَّه إليه ٣٥
في أقسام العلوم ٣٧
فائدة تشتملُ على نُبذ بمِن آداب المعلِّمينَ والمتعلِّمين .. ٤٠
ومِن أخلاق المتعلِّمين : حُسن الخُلُق ٦١
ومِن أخلاق المتعلِّمين : الرَّجاء ٧١
الحثُّ على طَلَب العلم ٨٣
تذكرة غافل ٩٠

دلالةٌ مهمّة لطلّاب العلم ٩٢
فهرس الفوائد ٩٧
الفهرس الإجمالي ٩٩

الأصالة للتنضيد والإخراج الفني / الأردن الزرقاء – ص . ب (٣٣٦٩)

رقم الإيداع ٤٦١٩ / ١٩٩٣

I . S . B . N . 977 - 5268 - 17 - 6



مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية
مدينة العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ ت : ٣١٣٢٦'
مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانىء الأندلسى ت : ٨١٣٧



تتشرف دار الصميعي للنشر والتوزيع

أن تقدم للقارىء الكريم سلسلة دروس في العقيدة

(١) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة

د / ناصر القفاري – د / ناصر العقل .

(٢) تنزيه السنة والقرآن عن أن يكونا من أصول الضلال والكفران

للشيخ أحمد بن حجر أبو طامي .

(٣) الجاهلية الجديدة

د / ناصرالعقل .

(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة في أشراط الساعة والحياة البرزخية

إعداد الشيخ سعد بن عبد الله آل حميد .

(٥) مفهوم الحب عند أهل السنة والجماعة (الجزء الأول)

تقديم الشيخ عبد الله بن جبرين – إعداد علي يحيى المرزوقي .

(٦) التعليقات على متن لمعة الاعتقاد

للعلامة الشيخ / عبد الله بن جبرين

طبعة جديدة مصححة ومنقحة .

(٧) نقض كلام المفترين على الحنابلة السلفيين

للشيخ أحمد بن حجر أبو طامي .

(٨) رسالة في توضيح ما يجوز وما لا يجوز من الشؤم

إعداد / نايف العتيبي – تقديم د / ناصر العقل .

مع تمنياتنا لكم بدوام العلم النافع والعمل الصالح

دار الصميعي للنشر والتوزيع

ص.ب ٤٩٦٧ – هاتف ٤٢٦٢٩٤٥